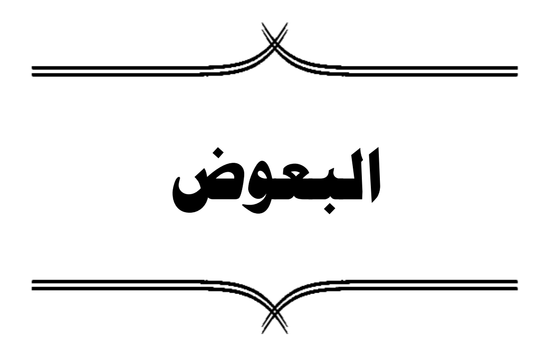


البعوض

البعوض

ليم فولكنر

ترجمة: د. جمال الدين الرمادي

الطبعة: ٢٠٢٣



العربية للاعلام والفنون والدراسات الانسانية والنشر

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة - مصر
هاتف: ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

http://www.azhabooks.com
E-mail: info@azhabooks.com

بطاقة فهرسة أثناء النشر

فولكنر، وليم - ترجمة: د. جمال الدين الرمادي - البعوض
– الجيزة – أزهى، ٢٠٢٢
١٦٧ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٨ – ٠ – ٨٦٢٨٧ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع: ١٩٨٠٦ / ٢٠٢٢

وليم فولكنر

البعوض

ترجمة

د. جمال الدين الرمادي

وليم فولكنر

- وُلِدَ وليم فولكنر في ٢٥ مِن سبتمبر عام ١٨٩٧م في ولاية مسيسبي.
- اِلتحق فترة قصيرة بجامعة المسيسبي.
- اِلتحق بالسلاح الجوي في الحرب العالمية الأولى.
- عاش فترة من الوقت في نيو اورليانز بولاية لويزيانا، حيث اِتصل بالكاتب الأمريكي المعروف "شرويد اندرسون".
- ظفر بجائزة نوبل في الأدب عام ١٥٩٠م.
- مِن أهم أعماله الأدبية قصة : البعوض، رواتب الجند، الصوت والغضب والمعبد، غريب في الطين، هاملت وسرتوس.
- اِستمدّ قصصه من حياته الخاصة، حيث عمل فترة من الوقت صيادًا للأسماك، كما اِشتغل نجارًا وصائدًا للطيور في أوقات فراغه.
- مِن أشهر أقواله الأدبية: "ليس شرطًا أن يعتزل الأديب العالم لكي ينتج مادة طيبة، فالمادة الجيدة جيدة في أي مكان، والموضوعات الجيدة لابُد أن تشق طريقها إلى الرواج".

- كما قال وليم فولكنر:

"لابُد للأديب في بداية عهده بالكتابة، قبل أن يصيب نجاحًا من عمل آخر، يكتسب منه عيشه".

وقال كذلك:

"إنّ اِلتزام نظام معين في الإنتاج الأدبي يجرد هذا العمل من المتعة التي لا غنى عنها".

- توفي في ٦ مِن يوليو عام ١٩٦٢م عن خمسة وستين عامًا.

الفصل الأول

قال مستر تاليافيرو:

- إنّ الطبيعة البشرية قوية عندي، ولا يمكن أن تقوم الصداقات إلّا عليها.

فأجاب صاحبه:

- نعم، هذا حسن.. هل تتفضل بالاِبتعاد قليلًا؟

واِستجاب تاليافيرو لهذا الطلب وراح ينظر إلى الغبار الذي علا حذاءه..

وقال محدثًا نفسه!:

- يجب على المرء أن يدفع ثمنًا للأدب.

وأخذَ يراقب صاحبه، ثمّ اِستأنف كلامه:

- إنّ الصراحة تدفعني إلى القول بأنّ الطبيعة البشرية هي الشيء الذي يُسيطر على نفسي.

واِعتقدَ تاليافيرو أنّ الكلام مع شخص يوازيه من حيث الذكاء والنضج العقلي قد يدفعه إلى الإفضاء بكثير من الحقائق عن النفس ممّا لا

يمكن نشرها.

وقال صاحبه مرة أخرى:

– هذا حسن..

فقال تاليافيرو بسرعة:

– العفو..

ثمّ اِستعاد توازنه، واِنتقل إلى مكان بعيد، وراح يضرب كفًا بكف. غير أنّ صاحبه تجاهله تمامًا. وقد بدت "نيو اورليانز" عبرَ النافذة في صورة قائمة باهتة تشبه غانية لا تزال تحتفظ بمسحة من جمالها.

وقد جلست في الغرفة وتعالت فيها سحب الدخان. وكان الصيف يخيم على المدينة بحرارته بعد اِنقضاء فصل الربيع، وعمّا قريب سيحل شهر أغسطس ومن بعده سبتمبر– غير أنّ شباب مستر تاليافيرو لم يَعُد يشغل باله.

وكانت أرض الغرفة مؤلفة من ألواح خشبية ليست مستقيمة، وفيها جدران ملونة بطريقة بشعة، ويتخلّلها نوافذ جميلة، ولابُد أن يكون قد عاش في هذه الغرفة عبيد خدموا بكرامة. ولكنّهم الآن اِنتقلوا إلى دار الخلود. وقليل من الناس يقبلون الخدمة دون المساس بكرامتهم.

وما يجذب الاِهتمام في هذه الغرفة هو أنّك ترى جسد الفتاة، من الرخام بدون رأس، أو يدين أو ساقين. ولا يستطيع المرء أن يحوّل نظره عنه.

وراح صاحب المنزل المثال يضيع اللمسات الأخيرة على التمثال: ثمّ

نهض واقفًا، وراح يحرك يديه وعضلاته.

وخفت الضوء..

وكان ينتظر اِنتهاء المثال من عمله.ونهض تاليافيرو ونظر إلى صاحبه بوجه كالصقر.

وأبدى تاليافيرو أسفه، لأنّ كم معطفه أزعج صاحبه، وقال:

هل أخبر السيدة موربر بأنّك قادم؟.

فقال الآخر:

– ماذا؟! يا للجحيم!.. إنّ أمامي عملًا لابُد من القيام به، وأخبرها بأنّني لا أستطيع الحضور.

وأُصيب تاليافيرو بخيبة أمل، وتناول كوب الماء، واِرتشف منه قليلًا.

فقال صاحبه:

– سأحضر في وقت آخر، إنّني مشغول جدًا، وأنا آسف!.

وبدأ صاحب المنزل يستعد للخروج، فأخذ تاليافيرو قبعته بدوره، وقال:

– اِنتظر.. سأرافقك.

فتوقف الآخر، وقال:

– إنّني ذاهب.

فقال تاليافيرو:

– حسنًا.. إنّني أستطيع العودة إلى هنا على كلّ حال.

فقال الآخر:

– أفي هذا ما يُزعجك؟

فقال تاليافيرو:

– لا يا عزيزي.. يسرني أن أعود.

فقال الآخر:

– حسنًا إذا كنت تعرف أنّ هذا لا يسبّب لك تعبًا، أحضر لي زجاجة لبن من البقال الموجود قرب الناصية.وهاك الزجاجة الفارغة.

وأمسكَ تاليافيرو بالزجاجة، وراح يراقب صاحبه وهو يهبط من السلم.

الفصل الثاني

هبطَ تاليافيرو من السلم، فشاهد اِثنين من الناس يُقبّل أحدهما الآخر، فأسرع إلى الشارع.وكان الطريق خاليًا من المارة. وكان الجو باردًا فأشعل تاليافيرو لفافة، واِبتلعه الظلام.

وفي الشارع وضع تاليافيرو الزجاجة تحت معطفه، وتعب من حملها، وراح يفكر في تحطيمها، ولكنّه لم يفعل ذلك. ووقف مترددًا لا يدري ماذا يفعل.

وكان ميدان "اندرو جاكسون" مُضاء بالأنوار، والكاتدرائية تطلّ على المكان، وكانت الأشجار الباسقة منتشرة في المنطقة. ولم يكن الشارع يضمّ أحدًا من الناس، غير أنّ ضجة "الترولي" كانت تسمع من شارع "رويال".

وأمسك تاليافيرو بالزجاجة، وشعر أنّه كأحد المجرمين.

فأسرع الخطى، ومرّ بالمخازن، وقد جلس أصحابها مع عائلاتهم، وراحت السيدات ترعِينَ الأطفال.

ووصل تاليافيرو إلى منتصف الطريق. وكان شارع رويال يتفرّع إلى طريقين. فأسرع صاحبنا إلى البقال عند الناصية. فمرّ بصاحب الحانوت الإيطالي وهو يجلس أمام دكانه.

وطلب تاليافيرو زجاجة لبن من البقال، وأعطاه الزجاجة الفارغة، فناوله الزجاجة من الثلاجة.

فأخذها تاليافيرو وأسرع إلى الشارع، ولكنّه وقف كالمذهول عندما شاهد السيدة "مورير" وبرفقتها فتاة نحيفة الجسم!

فقالت السيدة مورير:

– يا للمفاجأة! أهذا أنت؟! يا مستر تاليافيرو.

فصافحها دون أن يرفع قبعته.

فقالت:

– ما كنت أتوقع رؤيتك في هذه الناصية! في تلك الساعة! ولكنّني أعتقد أنّك كنت في زيارة أحد أصدقائك الفنانين. أليس كذلك؟!.

فتوقفت الفتاة، وراحت تتطلّع إلى مستر تاليافيرو دون اِكتراث.

ونظرت إليها السيدة مورير وقالت:

– إنّ مستر تاليافيرو يعرف كبار الشخصيات في الحي يا عزيزتي! إنّه يعرف كبار الفنانين. أرجو أن تعذرني يا مستر تاليافيرو فهذه هي اِبنة شقيقي.. الآنسة وربين التي سمعتني أتحدّث عنها.

– لقد حَضَرَت هي وشقيقها لتسليتي.

فقال مستر تاليافيرو:

– هذا هراء، فنحن– المعجبين التاعسين– بحاجة إلى التسلية. ربّما

تشفق الآنسة روبين علينا أيضًا.

وانحنى تاليافيرو للفتاة بصورة رسمية، ولكنّها لم تُبدِ أي حماس.

فنظرت موريو نحوها وقالت:

– يا عزيزتي، إنّه مثال الشهامة بين رجالنا في الجنوب.. هل تتصورين رجلًا في شيكاغو يقول هذه الكلمات؟!

فقالت الفتاة:

– لا.. لا يوجد مثل ذلك!

فقالت العمة مسز موريو:

– لهذا السبب كنت أتوق أن تحضر روبين باتريشيا لزيارتي لنجتمع بأشخاص من أمثالك.

– أليس هذا رائعًا؟!

وانحنى تاليافيرو مرة ثانية، وأوشكت الزجاجة أن تقع من يده، وقال:

– إنّها رائعة!

فقالت مسز موريو:

– ولكنّي مندهشة من وجودك هنا في هذه الساعة!، وأعتقد أنّك مندهش لرؤيتنا هنا! أليس كذلك؟!ولكنّي عثرت على شيء مدهش جدًا!، اِنظر إليه يا مستر تاليافيرو أُريد رأيك، وقدمت له مسز موريو لوحة من الرصاص عليها رسم السيدة العذراء،

ووجهها يعبّر عن دهشة بريئة. تشبه ما يرسم على وجه السيدة موربر وتحمل طفلها، وأخذ تاليافيرو يطل إلى اللوحة فقالت له السيدة موربر:

– اِنظر إليها على ضوء المصباح.

وتساقطت قطرات العرق من وجهه، فقالت له الفتاة:

– دعني آخذ عنك ما معك.

وتقدّمت مسرعة.. وأخذت الزجاجة وصاحت:

– أوه!..

وأوشكت الزجاجة أن تقع من يديها.

فقالت عمتها:

– ماذا؟ هل كشفت شيئًا آخر؟ لاشك أنّ ما كشفته أفضل ممّا معي.

– آه لو كنت رجلًا، لإستطعت أن أجوب الحوانيت طوال النهار، وأكتشف أشياء عدة، أرنا ما معك يا مستر تاليافيرو.

فقالت الفتاة:

– إنّها زجاجة لبن.

وراحت تتفحص وجه تاليافيرو.

فصاحت العمة "موربر" وقالت:

– زجاجة لبن؟! هل أصبحت فنانًا؟

ولأول ولآخر مرة في حياته تمنّى مستر تاليافيرو الموت لإحدى السيدات.. ولكنّه كان إنسانًا مهذبًا، فضحك ضحكة باهتة، وقال:

– فنان؟! إنّك تُبالغين في إطرائي يا سيدتي، أخشي أن أقول أنّني لا أصبو إلى ذلك.إنّني قانع بأن أكون....

فقالت الفتاة:

– بائع لبن؟!

وتنهدت السيدة موربر بدهشة وقالت:

– آه يا مستر تاليافيرو، لقد أصابتني خيبة الأمل، لقد كنت آمل أن يقنعك أحد أصدقائك الفنانين بأن تُقدّم إلى العالم شيئًا من الفن. لا تقل إنّك لا تستطيع ذلك. فأنا على يقين من أنّك تستطيع.. آه لو كنت رجلًا لأُمارس الفن والإنتاج الفني.. ولكن هل هي زجاجة لبن حقًا يا مستر تاليافيرو؟!

فقال تاليافيرو:

– إنّها لصديقي جوردن، لقد زرته ظهر اليوم ووجدته مشغولًا؛ فأسرعت لأحضر له زجاجة لبن من أجل العشاء.يا لهؤلاء الفنانين! إنّك تعرفين حياتهم!

فقالت:

– حقًا إنّه نابغة يمارس عمله بجد؟ أليس كذلك؟ ربّما كنت على حق لأنّك لم تُمارس هذه المهنة، إنّها طريق طويل، موحش، ولكن كيف

حال مستر جوردن؟إنّني جدّ مشغولة بحيث لا أجول في الحي كثيرًا كما ينبغي.لقد وعدت مستر "جوردن" بزيارته، وأن أدعوه إلى العشاء، إنّني واثقة أنّه يعتقد أنّني نسيته.. أخبره بأنّني لم أنسه بعد..

فقال تاليافيرو:

– إنّني على يقين من أنّه يُدرك مدى اِنشغالك بالزيارات.لا تجعلي هذا يزعجك..

فقالت الفتاة روبين:

– لنذهب.

وقالت العمة مورين:

– أين أصدقاؤك الذين سيذهبون في اليخت؟ هل سلّمت الدعوة إلى مستر جوردن؟

فقال تاليافيرو:

– إنّه مشغول جدًا.

فقالت العمة مورير:

– آه إنّك لم تخبره بأنّني دعوته إلى الحفل.. يا للعار! إذن يجب أن أخبره أنا نفسي بعد أن خذلتني!

فقال تاليافيرو:

– لا.. لم أفعل!.

فقالت العمة موريز:

– أرجو صفحك يا مستر تاليافيرو، إنّني لا أعني أن أكون قاسية.. يسرني أنّك لم تدعه، فهو خجول، ذو اِتجاهات فنية. يجب أن نذهب يا عزيزي!.. هل ترافقني؟

فقال تاليافيرو:

– شكرًا، يجب أن آخذ اللبن إلى "جوردن"، وأنا مرتبط الليلة.

فقالت العمة:

– كن حريصًا في كلامك يا مستر تاليافيرو.. سنتوجه معك إلى منزل مستر جوردن، وندعوه لحضور الحفل.

الفصل الثالث

وفي الطريق توقفت عربة السيدة "موريو"، ونزل السائق لإصلاحها. وراح تاليافيرو يفحص زجاجة اللبن، ثمّ يُمنّي نفسه بالحصول على عربة في العام القادم. وجلست الفتاة في زاوية السيارة، على حين راح تاليافيرو يُراقبها. وتمنّى طول الرحلة.

وصلت السيارة إلى المنزل، وقال تاليافيرو:

– سأصعد وأدعوه.

فقالت موريو:

– لا.. سنصعد جميعًا. أُريد من روبين باتريشيا أن تُشاهد النبوغ في المنزل.

فقالت الفتاة:

– لا، سأنتظر في السيارة.

فقال تاليافيرو:

– إنّه لشيء مثير أن نرى كيف يعيش الفنانون.

ثمّ هبط الجميع وصعدوا إلى المنزل.

وقرع تاليافيرو الباب.

فقال جوردن:

– هل عدت يا تاليافيرو؟

وكان الضوء يتلألأ على وجهه.

فقال تاليافيرو:

– لقد حضر ضيوف لزيارتك.

وقطعت مسز موريو الصمت، قائلة:

– كيف حالك يا مستر جوردن؟ أرجو أن تصفح عنّا لدخولنا على هذه الصورة المفاجئة!

وروت موريو لمستر جوردن كيف قابلت مستر تاليافيرو في الشارع.. ثمّ قالت وهي تقلّب نظرها في الغرفة وتشاهد الآثار الفنية الموجودة في الغرفة.

– إنّ أعمالك رائعة.. يا للنبوغ! لقد كنت أتوق أن ترى "باتريشيا" إستديو حقيقيًا، حيث يعمل فيه فنان حقيقي.دعيني أقدم لكِ يا باتريشيا مثالًا حقيقيًا، ونحن ننتظر منه أشياء كبيرة يا عزيزتي!

فاضطربت الفتاة، ثمّ أدارت رأسها دون أن تنظر إلى مستر "جوردن". ومدّ المستر جوردن يده..

وقالت العمة مورير:

– كنت أعتزم على زيارة إستديو مستر جوردن مُنذُ زمن طويل كما تعلم، لذا أنتهز هذه الفرصة لأقوم بزيارته.. هل تمانع يا مستر جوردن؟

فقال مستر جوردن:

– تفضلي، إنّ مستر تاليافيرو يستطيع أن يريك المكان.

ثم تطلّع جوردن إلى الفتاة وسألها:

– كم عمرك؟

فأجابت:

– ١٨عامًا إذا كان هذا يهمك.

ثمّ قالت له:

– إنّ هذا التمثال يعجبني، فهو يشبهني تمامًا، وأتمنى لو حصلت عليه.

فقال:

– لا أستطيع أن أُقدمه إليكِ.

فقالت:

– إنّني أثق في ذلك.

فقال جوردن:

– ولكنّي لا أحتاج إليه بعد غد.

فقالت باتريشيا:

– هل أستطيع الحصول على تمثال رائع مثله إذا كنت في حاجة إلى هذا التمثال؟

فقال جوردن:

– بكلّ سهولة يمكنك الحصول على هذا التمثال غدًا، أليس هذا قصدك؟

فقالت باتريشيا:

– إنّه من الرخام الأسود.

فقال جوردن:

– أسود!

فقالت باتريشيا:

– إنّه أسود، ولكني لا أعرف المادة التي صُنِعَ منها، إنّه يوحي بالأرواح.

فقال جوردن:

– وكذلك أنا.. أسألي عمتك، يبدو أنّها على علم بالأرواح.

فقال باتريشيا:

– سَلْهَا أنت نفسك..

فقالت العمة مورير:

– إنّه لتمثال رائع! ترى علام يدل يا مستر جوردن؟

فقالت الفتاة باتريشيا:

– لا شيء يا عمتي.

فقال تاليافيرو:

– ليس من الضروري أن يدل على شيء، يجب أن نقبله كما هو.

فقال جوردن:

– إنّه مثال الأنثى عندي، عذراء بدون أرجل كي لا تتركني، وبدون يد فلا تمسكني، وبدون رأس كي لا تتحدث إلي.

فقالت السيدة مورير:

– هل تدري سبب حضورنا في هذه الساعة المتأخرة؟ لقد جئنا لندعوك إلى نزهة في يخت، لكي نقضي بضعة أيام قرب البحيرة.

فقال جوردن:

– لقد أخبرني تاليافيرو بذلك. ولكنّني آسف، إذ لن أتمكن من الحضور.

فنظرت السيدة مورير نحو تاليافيرو وقالت:

– ألم تخبرنا بأنّك لم تذكر له أنباء الرحلة؟

فقال تاليافيرو:

– لقد كنت أُريد منك أن توجهي أنتِ نفسك الدعوة إليه، ولم أكن أقصد شيئًا، إنّ الحفل لن يكتمل إلّا بك يا مستر جوردن، وأعتقد أنّ قرارك ليس نهائيًا.

وفجأة قالت السيدة مورير:

– لنذهب إلى منزلي لنتناول طعام العشاء، ثمّ نبحث المسألة في هدوء.

فقال تاليافيرو:

– إنّني مرتبط بعمل مساء اليوم كما أخبرتك من قبل.

ثمّ قال جوردن للفتاة:

– هل ستكونين هناك؟

فقالت روبين باتريشيا:

– نعم! ولكنّني سأتوجه الآن إلى النوم مباشرة!

فقال جوردن:

– آسف لن أذهب فلدي عمل.

ثمّ تراجع جوردن وذهب لإستبدال ملابسه.وهنا قالت الفتاة:

– أعتقد أنّه لن يرجع.

وصاحت العمة:

– لن يرجع!

فقالت الفتاة:

– لو كنت مكانه ما رجعت..

فقال تاليافيرو:

– سأذهب لأبحث عنه.

وعاد تاليافيرو بعد لحظة وقال:

– لقد دُعِي جوردن إلى مكان ما، وطلب مني أن أعتذر إليكم، وهو يأسف لرحيله المفاجئ.

ثمّ نهضت السيدة مورير وقدّمت يدها مستر تاليافيرو وقالت:

– ستزورني أنت.. أليس كذلك؟

وداعبته قائلة:

– يا دون جوان...!

فضحك تاليافيرو مسرورًا.وقالت له الفتاة روبين باتريشيا:

– طاب مساءك يا مستر تارفر.

وذهبت العمة مع الفتاة، وقالت العمة لها في السيارة:

– إنّ مستر تاليافيرو له مكانة كبيرة.

فقالت الفتاة:

– نعم أرى ذلك.

الفصل الرابع

لقد تزوج مستر تاليافيرو من فتاة حسناء، وهو الآن في الثامنة والثلاثين من عمره، وقد توفيت زوجته مُنذُ ثماني سنوات.وكان له عدد من الإخوة شغلوا مناصب عدّة من التدريس في كلية "كنساس" إلى المجلس التشريعي في الولاية.

ونشأ تاليافيرو نشأة غير طبيعية، اِضطرته الطبيعة إلى فعل أشياء رغمًا عنه. وكان سليم الجسم لم تصبه أمراض في حياته.

ودفعه الزواج إلى العمل، وصادف حياة شاقة تنقل خلالها من عمل إلى آخر، حتى وصل إلى اِتباع أساليب ملتوية للحصول على المال قبل أن يعمل في إحدى المحال الكبرى.وقد شعر أنّه حقّق ما يريد أخيرًا، فقد كان يشعر بالراحة في التعامل مع الناس حتى أصبح مدير المبيعات بالجملة.

وأصبح يلم بكثير من الأمور التي تهم النساء، وظلّ مخلصًا لزوجته مع أنها لم تكن تغادر المنزل. وعندما تحسنت الأمور، وبدا مركزه يرتفع توفيت زوجته. وكان قد أصبح متعلقًا بها، إلّا أنّه مع مرور الأيام اِعتاد الحرية بعد أن تزوج صغيرًا ولم يعرف الحرية مطلقًا.

وطاف مستر تاليافيرو في أوروبا مدة واحد وأربعين يومًا، وعاد إلى "نيو اورليانز" وهو يشعر بأنّه قد نضج واِكتمل.. ولكنّه كان يخشى أن يكشف أحد أنّه ولد باسم "تارفر" وليس تاليافيرو..

الفصل الخامس

توجه مستر تاليافيرو إلى مطعم مجاور فشاهد صديقه الروائي "دوش فيرتشايلد"، وكان معه لفيف من الأصدقاء، فانضم إليهم، وكانوا جميعًا من معارفه إلّا المستر هوبر، وتطلّع مستر تاليافيرو إلى الجالسين، فقال أحدهم:

– أتذكرني يا سيدي؟

فقال تاليافيرو:

– لا أدري..

فقال الرجل:

– ألم تقابلني عندما كنت تتناول الغداء؟

فأجاب تاليافيرو:

– إنّني لا أتناول سوى كوب من اللبن عند الظهر، فأنا لا أتناول طعام الفطور مبكرًا.. ربّما كنت تحسبني شخصًا آخر.

وأحضر الجرسون ما طلبه المستر تاليافيرو، فراحَ يلتهم طعامه بدون اِرتياح..

فقال تاليافيرو:

– أنا عضو في نادي الروتاري.

فقال فيرتشايلد:

– ألم تسمعوا من قبل أنّ تاليافيرو عضو في نادي الروتاري، إنّني أذكر أنّ أحد الأشخاص أخبرني بذلك، ولابُد أنّكم تعرفون كيف تسري الشائعات، وربّما يعزى ذلك إلى أنّ تاليافيرو رجل له مكانته في ميدان الأعمال.. إنّ مستر تاليافيرو يعمل في أحد البيوت التجارية الكبرى، وهو ذو مكانة عظيمة في الأعمال التجارية.. أخبرهم يا تاليافيرو بِاسم الشركة.

فقال تاليافيرو معترضًا:

– كلا..

فقال أحد الجالسين:

– ليس هناك أفضل من نادي الروتاري، وقد أخبرنا مستر فيرتشايلد بأنّك عضو في هذا النادي.

ثمّ اِنفضّ المجلس، وغادر تاليافيرو المكان واِنصرف.

الفصل السادس

قال فيرتشايلد:

– ليكن هذا درسًا لكم أيها الشباب، فهذا ما سيحدث لكم إذا اِعتدتم أمورًا معينة، فمتى اِنضمَّ الإنسان إلى أحد الأندية أو الجمعيات، فإنّ صلته الروحية تبدأ بالاِنحلال.إنّ الشباب قد ينضم إلى أندية كهذه لأنّها تنادي بمُثُل عُليا، والشباب يصدق هذا المثل في ذلك الحين. ومتى تقدم السن بالإنسان فإنّه يصبح أكثر تعقلًا.

وقال أحد الجالسين:

– لقد كثرت الجمعيات والنوادي في الوقت الحاضر بشكل ملحوظ.

ثمّ تطوّر الحديث إلى الكلام عن الدين والعقيدة إلّا أنّ تاليافيرو لم يلبث أن آثر عدم الخوض فيه.

وقال تاليافيرو مقاطعًا:

– لقد شاهدت جوردن اليوم، وحاولت إقناعه لكي يرافقنا في رحلة الغد، ولكنّه رفض.

فقال فيرتشايلد:

– أعتقد أنّه سيحضر..

وروى لهم تاليافيرو ما حدث في منزل جوردن.

ثمّ قال:

– يجب أن يذهب معنا جوردن، أعتقد أنّكم ستساعدونني في إقناعه.

فقال فيرتشايلد:

– أرى عدم ضرورة تدخلي.

فقال أحد الجالسين:

– هل أنا مدعو للاشتراك في الرحلة؟.

فقال تاليافيرو:

– بالطبع نعم، فأنتَ شاعر.. وتضم الرحلة رسامًا، وروائيًا، وشاعرًا..

فقال رجل يرجع إلى أصل سامي:

– أعتقد أنّ الرحلة تحتاج إلى جوردن.

الفصل السابع

وغادر الجميع المكان، فذهب فيرتشايلد مع صاحبه "يوليوس" السامي يطوفان الشوارع، وفجأة قابلا جوردن هائمًا على وجهه. فقال له فيرتشايلد:

– هل عدلت عن رأيك، وقررت الذهاب معنا في يخت السيدة "مورير" غدًا. لقد قابلنا تاليافيرو.

فقال جوردن مقاطعًا:

– نعم، لقد غيّرت رأيي.

فقال فيرتشايلد بحماس:

– هذا رائع، إنّك لن تأسف على ذلك كثيرًا. إنّه سيستمتع بالرحلة من غير شك يا يوليوس.. إنّ الإنسان لا يستطيع أن يتجاهل الناس، ويعيش منعزلًا عنهم، وخاصة إذا كان لديهم طعام وسيارات.

ووافق "يوليوس" الرجل السامي على ذلك، وأيّدا فيرتشايلد في قوله.. ثمّ قال:

– إذن فهل ستحضر معنا يا جوردن؟

فقال جوردن:

– نعم، إنّي قادم.. ألست قادمًا يا فيرتشايلد؟

فقال فيرتشايلد:

– ليس الليلة، سأتصل بمسز موريير تليفونيًا، وأجعلها ترسل سيارتها لك غدًا، هلُمَّ بنا يا يوليوس، طاب مساءك يا جوردن!

وتوجّه الاِثنان نحو الشاطئ، واِجتازا شوارِع مظلمة..

فقال السامي يوليوس:

– إنّه شخص لطيف!

فقال فيرتشايلد:

– ينبغي أن يخرج من عزلته، فهو لا يستطيع أن يعمل في الفن طوال الوقت..

ثمّ اِجتاز الاِثنان مخزن البضائع إلى رصيف الميناء، حيث كان السكون، والماء، والظلام.

اليوم الأول

الساعة العاشرة

بدأ الجميع يستعدون للرحيل، والسعادة تغمرهم، ووقفت عربة السيدة موربر أمام المنزل لتنقل الأمتعة وحاجيات الرحلة. وكانت السيدة "موربر" ترتدي قبعة البحر، وهي تشعر بسعادة عارمة.. وعند رصيف الميناء صعد الجميع إلى اليخت وجلسوا على كراسي أعدها الخادم لهم على ظهر اليخت.. وكان معهم شاب شاعر ينظم أبياتًا في المناسبات، ليذكّر الإنسان بجدوى الراحة والهدوء.

وجلست السيدة "وايزمان" والآنسة "جيمسون" إلى جانب المستر تاليا فيرو، وقد أشعلتا لفافتي تبغ.وقد نزل فيرتشايلد وجوردن ويوليوس السامي وشخص أخر إلى قاع اليخت.وراحت السيدة موربر تسأل:

– هل نحن جميعًا هنا؟

ووقفت إلى جانبها اِبنة أخيها الجميلة، وفتاة شقراء بملابس خضراء اللون..وقالت الفتاة الأولى عندما شاهدتا شابًا على الشاطئ يدخن سيجارًا:

– ماذا به؟! لماذا لا يأتي إلى هنا؟

ثمّ قالت الفتاة الأولى روبين باتريشيا:

– ما اِسمه؟

فقالت الفتاة الشقراء:

– اِسمه بيت.

فرفع الشاب قبعته، فأشارت الفتاة له، وقالت:

– ألست قادمًا معنا؟

فأجاب الشاب:

– ماذا تقولين؟

فقالت باتريشيا:

– هلُمَّ إلى ظهر اليخت يا بيت..

فأقبل الفتى.. وهنا علت الدهشة ملامح مسز مورير.. فتحاشاها بأدب.

فسألته مسز مورير:

– هل أنتَ رئيس العمال الجديد؟

فقال موافقًا:

– نعم.. يا سيدتي.

وتطلع إليه بقية الضيوف وهو يتجه نحو الفتاتين.. وحملقت السيدة "مورير" في وجه الفتاة الشقراء التي قالت:

– لست أنا.. بل هي باتريشيا..

فقالت باتريشيا:

– نعم.. هذا صحيح.

ثمّ نظرت نحو الفتاة، ثمّ سألتها مسز موريز:

– ما اِسمك الحقيقي يا جيني؟

فقالت الفتاة الشقراء:

– اِسمي جنفياف ستينبور.

فقالت باتريشيا:

– هذه هي الآنسة ستينبور، وهذا هو بيت. لقد قابلتهما هناك، ويُريدان الذهاب معنا.

وقالت العمة مسز موريز بعد فترة:

– هل نحن جميعًا هنا؟

ونسيت أمر جيني وبيت، وقالت:

– أين مستر فيرتشايلد؟

وكان اليخت على وشك مغادرة رصيف الميناء، فأسرعت تنادي السائق بالوقوف.. وقالت السيدة وايزمان:

– إنّه هنا، لقد حضر مع ارتست.

ونهض مستر تاليا فيرو.. فزالت الدهشة من وجه السيدة مورير.. ثمّ أقلع اليخت "نويزاكا".

وجلست باتريشيا تخلع جواربها، وقالت:

– ها قد حضر جوشن.

فبهتت العمة إذ رأت سيارتها الثانية وقد هبط منها اِبن أخيها مسرعًا، فألقى بيت حبلًا فتعلق به وصعد إلى اليخت.

الساعة الحادية عشرة

وجلس الجميع على ظهر اليخت باِسترخاء، وراحوا يتطلّع بعضهم إلى بعض، وينتظرون الفطور، إلّا جيني وبيت، فقد وقفا قرب حاجز اليخت.

وشاهدتهما السيدة "موريو" فاعترتها دهشة غريبة، وأسرعت إلى اِبنة أخيها قائلة:

– ما الذي جعلك تدعين هذين الشخصين إلى الرحلة؟

فقالت باتريشيا:

– الله يعلم.. إذًا أردتِ أن تعيديهما إلى الشاطئ فافعلي.

فقالت العمة موريو:

– ولكن لماذا طلبت منهما ذلك؟

فقالت باتريشيا:

– لا أعلم، ولكنّك قلت إنّه لا يوجد عدد كافٍ من السيدات.

فقالت العمة:

– ولكن متى تعرفتِ عليهما؟

فقالت باتريشيا:

– كنت أشتري ملابس البحر عندما قابلت "جيني" هناك فأبدت رغبتها في الحضور، وأمّا الآخر فكان ينتظرها، وقال:

– إنّها لن تذهب دونه.

فقالت العمة:

– هل تعنين أنّك لم تعرفيهما من قبل؟

فقالت باتريشيا:

– لقد طلبت مني جيني ذلك. وكان لابُد من حضور الآخر، لكي تتمكن هي من مرافقتنا.

الساعة الواحدة

ووضِعَ طعام الفطور على المائدة، وطلبت السيدة موريز من ضيوفها أن يجلسوا كيفما شاءوا.

ثمّ قالت:

– يجب أن تجلس السيدات في جانب والرجال في جانب آخر..

وجلست موريز مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون وجيني.. وكان بيت يقف وراء باتريشيا.أمّا تاليافيرو فقد جلس مع اِبن شقيق السيدة

مورير. وسألت السيدة موريز عن بقية الضيوف.

فقال بيت:

– لقد ذهبوا إلى سطح اليخت.

فأعادت السؤال من جديد..

فأجاب اِبن أخيها بقوله:

– اِنتظري لحظة قبل أن تسألي.

ثمّ قال لأخته باتريشيا:

– مَن هم ضيوفك؟

وعاد إلى تناول الفاكهة..فقالت عمته:

– تيودور.. ماذا يفعلون في قاع اليخت؟

وكانت ترتفع أصوات من قاع اليخت.فقالت تاليافيرو:

– هل تسمحين لي بِاستطلاع جلية الأمر؟

فقالت باتريشيا:

– ليذهب كبير الخدم، ودعونا نأكل.

فقال أخوها تيودور:

– سأذهب أنا.

فنادته العمة، وقالت:

– هل تسمح يا مستر تاليا فيرو بِاستطلاع الأمر؟

فأسرع المستر تاليافيرو إلى قاع اليخت.

وبعد لحظة أقبل الجميع يتقدّمهم "فيرتشايلد".

وقال فيرتشايلد معتذرًا:

– لقد كنّا نساعد الكابتن "ايريس" في البحث عن أسنانه إذ سقطت من فمه!

فقالت العمة:

– سأصفح عنكم هذه المرة.

ثمّ جلس مستر تاليافيرو إلى جانب السيدة "موريير"، على حين جلس جوردن بين السيدة موريير وابن اخيها.

وابتسمت له السيدة موريير، وقالت:

– أيّها السادة، إنّ مستر تاليافيرو سيقرأ عليكم بلاغًا خاصًا بسرعة اليخت.

فقال تاليافيرو:

– أيّها السادة.. لقد أوشك أن يفوتكم طعام الفطور، فموعده الساعة الثانية عشر والنصف.

ويجب ألّا تنسوا هذا الموعد، فالنظام مطلوب في السفينة كما تعلمون..

وقالت السيدة موريرِ:

– كونوا رقيقي الطبع وتعالوا..

وتطلّعت حولها فوجدت مكانًا خاليًا؛ فساورها القلق، وراح الجميع ينظر بعضهم إلى بعض.

وقالت الآنسة جيمسون:

– إنّه مكان مارك؟! أليس كذلك؟ لقد نسينا مارك!

فأوقدت السيدة موريرِ كبير الخدم ليبحث عنه، فوجده لا زال فوق سطح اليخت.

فقال تاليافيرو:

– لقد قلقنا بشأنك يا عزيزي.

فقال الشاعر مارك ببرود:

– لقد كنت أتساءل عن موعد الفطور.

ودقّت السيدة "موريرِ" الجرس فأقبل الخادم، ورفع صحائف الطعام وجاء بغيرها. وسأل أحدهم السيدة وايزمان عمَّن يكون المستر تاليافيرو؟، وعن صناعته؟

فقالت وايزمان:

– إنّه يبيع حاجيات في جنوب المدينة، أليس كذلك يا يوليوس؟

فنظر إليها يوليوس:

فقال أحدهم:

– إنّني أسأل عن جنسه وعنصره..

فقالت وايزمان:

– هل لاحظت اللكنة التي يتحدث بها؟

فقال الرجل:

– نعم، إنّني أرى أنّه لا يتكلم كالأمريكيين، وأعتقد أنّه من أهل البلد.

فقالت:

– من أبناء البلد؟

فقال:

– أعني أنّه من الهنود الحمر.

الساعة الثانية

ووضعت السيدة "موريز" حدا لطعام الفطور، وراحت تفكر فيما لو اِستطاعت أن تجعلهم يلعبون "البريدج". وقام الخادم بإعداد المائدة للعب الورق. وراح الجميع يتجاذبون أطراف الحديث الذي تناول تاريخ الولايات المتحدة، والحرب مع الهنود الحمر، ثمّ اِختلاف العادات بين الأمريكيين والإنجليز.

وهنا وقفت السيدة مورير، وقالت:

– عندما تحين الساعة الرابعة ينبغي أن نكون في الماء.. فحتى ذلك الحين، ما رأيكم في أن نلعب "البريدج". وليجلس مستر فيرتشايلد والسيدة وايزمان وباتريشيا ويوليوس إلى المائدة رقم (١) ، والميجر ايرس والآنسة جيمسون والمستر تاليافيرو.. ثمّ اِستدارت إلى "جيني" الشقراء وقالت لها:

– هل تلعبين البريدج؟

وقال فيرتشايلد:

– يا يوليوس، يا ميجر ايرس. أليس من المستحسن أن نستلقي قليلًا؟ ألا ترى يا جوردن أنّ هذا هو الأفضل؟

فقال الكابتن ايرس من فوره:

– أعتقد أنّك على صواب.

وقال فيرتشايلد:

– هل أنتَ قادم يا جوردن؟

فنظرت السيدة مورير إليه، وقالت:

– من المؤكد أنّك لن تتركنا يا مستر جوردن.

وتطلّع جوردن إلى باتريشيا، التي قابلت نظرته بهدوء، وقال:

– نعم، إنّني قادم، ولكنّي لن ألعب الورق.

وبقى تاليافيرو وبيت، على حين اِنهمك اِبن شقيق السيدة موريو يعمل بمنشاره، وتطلّعت "موريو" إلى بيت.

ثمّ ألقت ببصرها إلى بعيد، ولم ترغب في أن تسأله عمّا إذا كان يلعب "البريدج".

وتطلّعت موريو إلى ضيوفها بشيء من اليأس المفعم بالدهشة. ونظرت باتريشيا إلى من بقى من الضيوف، وقالت لعمتها:

– لقد قلت إنّه لن يكون هناك عدد كافٍ من السيدات!

فقالت العمة:

– أعتقد أنّه من الممكن أن نلعب حول مائدة واحدة.

وقف بيت مع جيني فوق سطح اليخت، وكان النسيم يداعب ثيابها، وراحت تنظر إلى الماء وقد مالت على حاجز اليخت.. فناداها أحد البحارة خشية أن تسقط في الماء، فاِبتعدت عن الحاجز، وشاهد الاِثنان شقيق باتريشيا وهو يعمل بمنشاره فتساءلا عمّا يفعله.

فقال بيت: أعتقد أنّه ليس في حاجة إلى مساعدة أحد منّا.

ثمّ قال:

– كم ستطول الرحلة؟

فقالت جيني:

– لا أدري.. إنّها للمتعة والمرح، وليس لهم هدف معين.. لو كنت غنية

لبقيت حيث أستطيع إنفاق المال، بدلًا من أن أقطع طريقًا لا يرى الإنسان فيه شيئًا.

فقاطعها أحدهم قائلًا:

– لو كنت غنية لاشتريت ملابس وجواهر وسيارة.

فقالت جيني:

– أعتقد أنّني لن أشتري زورقًا.

ووقف شقيق باتريشيا يتطلّع إلى محركات اليخت، ويتساءل عن مدى قوتها، وراح يتطلّع إلى الكابتن وهو منهمك في عمله، فشعر بالبهجة والسرور والاِهتمام.

فقالت أخته باتريشيا:

– ماذا هناك؟

فقال:

– ماذا تفعلين هنا؟ ومَن طلب منكِ الحضور؟

فقالت:

– أردتُ الحضور، ماذا هناك يا كابتن؟

فقال أخوها:

– اِذهبي إلى سطح اليخت فلا عمل لكِ هنا.

فقالت:

– اِنظر يا كابتن، إنّ المحركات تسير بسرعة كبيرة!

فقال الكابتن:

– هذا صحيح يا سيدتي. إنّها آلة جيدة تكلفت ١٢ ألف دولار.

ثمّ عادت باتريشيا مع أخيها الذي قال لها:

– لماذا تقتفين أثري؟!

فقالت باتريشيا:

– لم أكن أقتفي أثرك.

الساعة الرابعة

جلس الجميع حول مائدة "البريدج" وهم يتحدثون ويمرحون، وراحت السيدة "مورير" تتطلّع نحو الفضاء أحيانًا، والسفينة تشق عباب الماء. وكان مستر تاليافيرو كلّما رفع رأسه رأى أنّ السيدة مورير تنظر إليه متأملة، فيعود إلى اللعب.

وأقبل بقية الضيوف وهم في ملابس الاِستحمام، وتجاهلوا اللذين يلعبون الورق، ثمّ هتف فيرتشايلد:

– إنّه يكسب..!

ورفعت السيدة مورير عينيها فشاهدت الكابتن ايرس يقفز من فوق حاجز اليخت، دون أن تصدق هي ذلك فصرخت:

فأقبل الخادم وخلع معطفه وألقى بحزام النجاة، ثمّ ألقى نفسه.. وسار الكابتن ايرس خلف اليخت وهو يسبح بشدة، ووصل هو والخادم إلى قرب اليخت. وإستطاع البّحارة أن يسحبوا الكابتن ايرس إلى زورق صغير.

وهبط الضيوف إلى قاع الزورق، وإرتدوا ملابس الإستحمام، ولم يكن لدى جيني رداء للإستحمام فأعطتها باتريشيا رداءها.

ونزلت جيني إلى البحر، على حين ظلّ بيت في الزورق بكامل ملابسه. وإرتدى "تاليافيرو" رداء البحر، ونزل إلى الماء.. وحاول أن يتجاذب أطراف الحديث مع جيني.

ونزل فيرتشايلد وهو أشبه بفيل البحر، وتبعه الكابتن ايرس الذي راح يرش الجميع بالماء. وجلس جوردن على حاجز اليخت يشاهد الجميع وهم يسبحون، ونزلت باتريشيا إلى الماء في النهاية.

وتحدّث الكابتن ايرس عن الغطس حتى حلّ التعب به من مطاردة أصحابه وهم يغطسون في الماء كلّما حاول الإقتراب منهم فنقلوه إلى الزورق.

وعاد الجميع إلى اليخت، وعندما أرادت باتريشيا الصعود وقعها جوردن بيديه.

الساعة السادسة

وصل اليخت إلى مصب أحد الأنهار، وكان الماء أشبه بالبترول الراكد، فلم يجد الزورق أيّة مشقة في شقّ الطريق إلى الأمام.

وقف تاليافيرو بجوار جيني وصاحبها بيت، وكانت جيني تبدو فاتنة على ضوء أشعة الشمس وهي تميل إلى الغروب.. ثمّ توجّه الزورق إلى عرض البحر في سرعة متوسطة.

الساعة السابعة

أقبل الجميع لتناول طعام العشاء، وأمسكت السيدة موريرِ بيد مستر تاليافيرو.. وقالت له في توسل:

– مستر تاليافيرو..

فوقف مستر تاليافيرو، وقال:

– أما ونحن كلنا على ظهر اليخت الآن، فإنّ قبطان اليخت يريد أن يعرف الميناء الذي سنرسو فيه. أو بمعنى آخر.. أين سنذهب غدًا؟

فقال فيرتشايلد:

– إلى أي مكان، لقد أقبلنا من مكان ما أمس.

فقالت السيدة وايزمان:

– أنت تعني اليوم، فقد غادرنا نيو اورليانز صباح اليوم.

وقال تاليافيرو:

– سنذهب غدًا إلى نهر "تشوفونكتا"، ونقضي سحابة اليوم في صيد الأسماك، فهل أنتم موافقون جميعًا؟ أم تفضّلون الاِقتراع؟

ووافق الجميع على ذلك.

وقال فيرتشايلد:

– ربّما سنقابل هناك آل جاكسون، أحسن شاعر في نيو اورليانز.

ثمّ قال تاليافيرو:

– إذن، اِنتهينا من هذا الموضوع. إن قبطان السفينة يدعوكم إلى حفل رقص بعد العشاء مباشرة.

وقال فيرتشايلد:

– إنّ لدى آل جاكسون بحيرة لصيد الأسماك في خليج المكسيك.

فقالت وايزمان:

– حيث الرجال كالحيتان.

فنظر إليها الكابتن ايرس نظرة تأمل فقالت وايزمان:

– حيث الرجال رجال، إنّه المكان الذي جاءت منه تلك الفتاة الجميلة الشقراء.

وأشارت إلى جيني.

فحدّق الكابتن ايرس في وجه جيني وسألها:

– هل كنت تقيمين في بحيرة الأسماك عند جاكسون في خليج المكسيك؟

فقالت جيني:

– إنني أُقيم في اسبلانيد.

وقال فيرتشايلد:

– أعتقد أنّكِ لست الفتاة المقصودة، وإلّا عرفتِ البحيرة.. إنّ جاكسون يجمع الأسماك، ثمّ يضع شعاره عليها.

فقال الكابتن ايرس: يضع شعاره عليها؟!

فأجاب فيرتشايلد:

– إنّه يضع علامته عليها ليميزها عن الأسماك الأخرى، وهو الآن يمتلك أسماك العالم، إنّه مليونير سمك.

فقال الكابتن:

– وماذا يفعل بها؟

فقال فيرتشايلد:

– إنّه يقطع ذيلها.

فقال الكابتن:

– إنّ الأسماك الموجودة عندنا مقطوعة الذيل.

فقال فيرتشايلد:

– إذن فهي أسماك آل جاكسون.

وصعد الجميع إلى سطح اليخت.

الساعة التاسعة

وراح دوش فيرتشايلد يبحث عن قطعة سلك أو قضيب من النحاس، ليستخدمه في عمل ما. ووصل في بحثه إلى غرفة المحركات فوجد قضيبًا من الصلب خاليًا من الشحم، فاِعتقد أنّهم لا يستخدمونه أبدًا، ورأى أنّه يحتاج إليه فترة، ويستطيع إعادته قبل الغد، فسحب القضيب بسهولة، وكان من الصلب الممتاز وثمنه ١٢ ألف دولار..

وقال يحدث نفسه:

– إنّ القضيب سيظلّ سليمًا.

وكان القبطان يغط من نومه، فأغلق الغرفة، ووضع القضيب في جيبه، وعاد إلى الكابينة التي يشغلها مع مستر تاليافيرو..

وكان القضيب ساخنًا، وكان صندوق التبغ في جيبه أيضًا.وأحضر الأسطوانة الخشبية، ووضع لفافة تبغ على حقيبة صغيرة، ورفع القضيب ووجّه رأسه الساخن إلى نقطة الأسطوانة. فارتفع خيط من الدخان، له رائحة تشبه رائحة الجلد.

الساعة العاشرة

جلست السيدة مورير مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون ومارك والمستر تاليافيرو حول مائدة "البريدج".

ولم تكن السيدة مورير تشعر بميل إلى اللعب، وقالت:

– لستُ أدري ماذا يريدون أن يفعلوا؟!

فقالت وايزمان:

– إنّها نزهة مليئة بالمرح..

فقالت باتريشيا:

– إنّها أسوأ من ذلك، إنّها أشبه بزورق للماشية، الكلّ يسير هنا وهناك..

وقال موريز:

– لتكن ما تكون..

وفجأة ظهر خيال شخص لحقت به باتريشيا، ولم يكن سوى جوردن.وأصاب السيدة موريز شعور بالفشل كمضيفة إذ لم تتبادل كلمة مع جوردن مُنذُ رحيلهم..

فقالت لرفاقها:

– لنرقص على أنغام الموسيقى..

فقالت السيدة وايزمان:

– إنّني أفضل لعب الورق مع مارك على أن أرقص معه.

فقالت موريز:

– سيأتي كثيرون عندما تعزف الموسيقى.. ألا تحب الرقص يا مستر تاليافيرو؟

فقال تاليافيرو:

–كما تشائين يا سيدتي العزيزة!

وذهبت السيدة موريير تبحث عن رفاقها حتى يشاركوها في الرقص، فعثرت على جوردن وباتريشيا فقالت لهما:

– هل تريدان الرقص؟

فقالت باتريشيا:

– لا.. لا أُريد..

فقالت العمة موريير:

– أعتقد أنّكِ لن تمنعي جوردن من الرقص.

فقالت الفتاة باتريشيا:

– إنّنا نتحدث عن الأدب والفن.

فقالت العمة:

– أين تيودور؟ ربّما ساعدنا في ذلك.

فقالت باتريشيا:

– إنّه في سريره، يمكنك أن تطلبي منه ذلك.

فذهبت العمة، وراحت تحدث نفسها قائلة:

– لقد فعلت الكثير لإرضائهم، ولكن دون جدوى!

ثمّ شاهدت شبحين في الظلام، ثمّ ظهرت جيني وبيت، فتطلّعت السيدة موريز إليهما بارتباك، وتذكّرت قول السيدة وايزمان في زورق النزهة.

فقالت مسز موريز:

– أعتقد أنّكما تستمتعان بضوء القمر.

فقالت جيني:

– نعم، إنّنا نجلس هنا.

فقالت موريز:

– ألا تريدان أن ترقصا؟

فلم تحرك الفتاة ساكنًا، فانصرفت السيدة موريز إلى مخدعها.

الساعة الحادية عشرة

طرق مستر تاليافيرو باب مستر فيرتشايلد، ثمّ دخل، فوجد الرجل السامي يوليوس والكابتن ايرس على المائدة.

فقال فيرتشايلد:

– اِدخل. كيف هربت منّا؟

فقال الرجل السامي:

– إنّ جسم الإنسان يستطيع أن يتحمل الكثير، أليس كذلك؟ أعتقد أنّ مستر تاليافيرو رجل مِقدام، لا يحتاج إلى مساعدة.

فقال فيرتشايلد:

– أين جوردن؟ أهو على ظهر اليخت؟

فقال تاليافيرو:

– أعتقد ذلك، وأعتقد أنّه مع الآنسة باتريشيا.

فقال فيرتشايلد:

– آمل ألّا تعامله بقسوة، مثل ما عاملتنا. أليس كذلك يا كابتن؟

فقال الرجل السامي يوليوس:

– تستحق أنت ذلك والكابتن.

وبعد الشراب قال فيرتشايلد:

– لنصعد إلى السطح قليلًا.

اليوم الثاني

هبّت عاصفة في الساعة الثالثة صباحًا، فهاجت مياه البحيرة كما تنبأ القبطان، وتلاطمت الأمواج، وراح اليخت يعلو ويهبط، وراح القبطان يدير دفة اليخت لينجو بها من هذه الأمواج، وخرج بها إلى عرض البحر.

وكانت دوروثي جيمسون وهي إحدى ركاب اليخت في هذه الرحلة ذات أسلوب جَرِئ، وكانت صاحبة مزاج فني رقيق، وتفضل الصور الفنية، وكانت طويلة القامة، ذات عينين سوداوين، وقد أمضت عامين في قرية "جرينتش"، لتتعرّف على الإتجاهات الأمريكية في الرسم، وقد تعرّفت بأحد الشبان عندما اِستدان منها نقودًا، ليسدّد دينًا لامرأة أخرى، غير أنّه ما لبث أن هرب إلى باريس مع سيدة ثرية.

وكان صاحبها موسيقارًا متحررًا، عمل في اوركسترا يتسبرج حيث ألقى تلك السيدة. وأمضت دوروثي عامًا في الخارج، ثمّ عادت إلى نيو اورليانز، وقد ضبطها البوليس مرارًا وهي تسير مسرعة بسيارتها فحرّر لها عدة مخالفات.

وراحت دوروثي تفكر في السيدات اللواتي في اليخت، ومنهنّ السيدة وايزمان، التي كانت متزوجة من شخص، ثمّ هجرته، والرجال اليوم يخطبون ودّها مثل فيرتشايلد. ولكن قد يكون ميله نحوها يعود إلى صداقة لأخيها. غير أنّ فيرتشايلد لم يكن من هذا الطراز، إذ أنّه يميل إليها لأنّه مفتون بها.

وهناك باتريشيا التي لا تهتم بصناعة الفن، وجوردن المنطوي على نفسه الماكِن.

وماذا بشأن بيت وجيني؟ ومستر تاليافيرو؟

إنّ جيني جميلة فتانة، ولكنّها كصاحبها والمستر تاليافيرو الذين لا يهتمون بالفن، ومضت جيني تقول:

– ربّما أنّ الفنان الأديب ليس ذلك الطراز من الناس الذي يستهويني.

الساعة السابعة

وأشرقت الشمس بنورها الساطع، وراح الزورق يشقّ عباب الماء.. ومع مشرق شمس اليوم التالي علت وجه بيت علامة خوف، فأمسك بصحيفة، وراح يطالعها.

وقالت الآنسة جيمسون:

– إنّه يوم شديد البرودة.

فأجاب بيت:

– طبعًا، وعندما نهضت في الصباح، وشعرت بالبرد، وأنّ الزورق يعلو ويهبط لم أدرِ إلى أين نسير. إنّني لا أشعر بِارتياح اليوم..

فقالت الآنسة جيمسون:

– كيف حصلت على صحف؟ هل رسا الزورق مساء أمس في مكان ما؟

فقال بيت:

– إنّها صحيفة قديمة، وقد عثرت عليها في أسفل اليخت.

فقالت جيمسون:

– لا تلقِ بها، اِستمر في القراءة إذا كان هناك ما يثير اِهتمامك. إنّني آسفة لأنّني سبّبت لكَ الضيق.ربما تشعر بالاِرتياح بعد تناولكَ الفطور.

فقال بيت:

– ربما حصل هذا، ولكنّني أشعر بالضيق بما آل إليه حال اليخت والأمواج المتلاطمة.

فقالت جيمسون:

– ستتغلب على ذلك. أنا متأكدة.

ثمّ اِقتربت لترى الصحيفة، فوجدتها صحيفة يوم الأحد. وفيها مقال عن فن العمارة عند الرومان.

فسألته جيمسون:

– هل تهتم بفن العمارة؟

فقال بيت

– لا.. لقد كنت أقلب الصحيفة حتى يستيقظ الجميع، وأنا لم أفكر في ذلك.

فقالت جيمسون:

– هذا يعجبني في الرجال أمثالك، أنّك خبير في الحياة، بحيث لا تخشى ما تفعله بكَ الأيام.

ترى هل تقضي أوقاتك في التفكير في الحياة؟.

فقال بيت:

– ليس كثيرًا، الرجل لا يريد أن يكون سمكة!

فقالت جيمسون:

– إنّك لن تكون سمكة في يوم ما. إنّ الجميع يدعونك بيت. فهل تنزعج؟ أعتقد أنّ الأمور الجدية هي التي تدخل السعادة إلى القلوب.. إنّ الكثيرين يقبلون الجلوس والحديث عن هذه الأمور بدلًا من الاِنطلاق والحصول عليها.. اِعطني سيجارة من فضلك.

وناولها السيجارة، ووقف أمام أحد الأبواب، وفجأة خرجت باتريشيا ومعها معطف واقٍ من الأمطار. فقالت: هاللو!

فقال بيت:

– هاللو! هل نهضتِ جيني؟

فقالت باتريشيا:

– إنّها ستحضر حالًا..

الساعة الثامنة

وقالت السيدة مورير حول مائدة الفطور:

– إنّ عجلة القيادة معطلة، وقد طلب القبطان سفينة لتسحب اليخت.

– لقد كان اليخت بالأمس على غير ما يُرام.

– ويحاول القبطان أن يجد سبب هذا العطل.

فقالت وايزمان:

– لقد كنت أريد دائمًا أن أكون في سفينة، ثمّ تتحطم. ليكن هذا درسًا لكم أيّها الرفاق.

وقالت باتريشيا:

– إنّهم لا يعرفون شيئًا عن المحركات. ومن الممكن أن يقوم دوسون فيرتشايلد بإصلاحها، فهو يعرف الكثير عن محركات السيارات.

– أعتقد أنّك تستطيع ذلك يا دوسون؟

ويبدو أنّه لم يصغ إلى قولها، بل مضى يتناول طعامه، ثمّ طلب لفافة، ثمّ توجّه إلى غرفته، حيث أخرج القضيب فوجد أنّ أحد طرفيه أسود اللون فتوجّه إلى دورة المياه وأمسك بفرشاة وراح يدعكه فزال السواد.. وتوجّه إلى غرفة الآلات، بعد أن وضع فرشة الأسنان بين أمتعة مستر تاليافيرو.. ثمّ أعاد القضيب مكانه، وغادر الغرفة.

الساعة العاشرة

قال فيرتشايلد مخاطباً تاليافيرو:

– إنّ ما يقلقك هو أنّك لست جريئًا في حياتك، ولست أعني أنّك من ناحية الكلام لا تثير اِهتمام مَن يصغى إليك فحسب، بل إنّك من ناحية الأفعال لا تثير الاِهتمام أيضًا.

فقال تاليافيرو:

– ماذا تعني أن أكون جريئًا؟ وماذا أفعل لأكون كذلك؟

فقال فيرتشايلد:

– ألم تقرأ الصحف وما فيها من أنباء تضحيات الفتيات للرجال؟

فقال الرجل السامي:

– ولكن لماذا يفعل تاليافيرو ذلك؟ إنّهنَّ يتجاهلنه وهو لا يحتاج إلى رضاهنّ؟

الساعة الثانية

جلست باتريشيا على ظهر اليخت وحدها وراحت تحملق في مياه البحر، ولكنها سئمت ذلك، فعادت تريد غرفتها، فوجدت الخادم ينظف أواني الطعام.

فسألته باتريشيا:

– ما اِسمك؟

فأجاب الخادم:

– دافيدوست، وأقيم في انديانا، وقد عرفت مستر فيرتشايلد مُنذُ يومين، وهو الذي قدمني إلى السيدة موريز لأعمل عندها، وهذه هي أول رحلة في اليخت.

فقالت باتريشيا:

– كنت أتمنى أن أكون رجلًا أطوف البلاد التي أُريدها، وأعتقد أنّه يمكنني العمل في السفن.

فقال:

– لقد تعلّمت الطهي في السفينة في أثناء زيارتي موانئ البحر الأبيض المتوسط.

فقالت باتريشيا:

– لابُد أنّك شهدت الكثير! ماذا كنت تفعل هناك؟ لاشكّ أنّك لم تكن تجلس في السفينة.

فقال الرجل:

– لا.. كنت أطوف المدن بعيدًا عن الشاطئ.

فقالت باتريشيا:

– هل زرت باريس؟

فقال:

– لا.. ولكن..

فقالت باتريشيا:

– إنّ الرجال يذهبون إلى أوروبا لإِنطلاق الحياة فيها.. أليس كذلك؟

فقال:

– لست أدري..

فقالت باتريشيا:

– أعتقد أنّه لم يكن لديك وقت لذلك، لابُد أنّك شاهدت الجبال والقلاع والآثار في البلاد التي زرتها.

– أليس كذلك؟.

فقال:

– نعم!. فقد رأيت جبال الألب والزوارق الصغيرة، والمناظر الخلابة.

فقالت باتريشيا:

– أرجو أن أزور أوروبا في الصيف القادم.

وصعد تاليافيرو إلى سطح اليخت، فوجد جيني مستلقية فوق أحد المقاعد.. جميلة شقراء فوقف يتأملها، وقد اِنسكب عليها ضوء الشمس، وألقى تاليافيرو نظرة سريعة على السطح، فلم يجد أحدًا، فاِقترب وراح يتأمل حسنها الرائع، ولكنّه وقف كالمذعور إذ خيّل إليه أنّ أحدًا يراقبه،

فراحَ يبحث عن لفافة تبغ فلم يجد فعاد إلى غرفته، ووقف أمام المرآة يمعن في النظر في وجهه ليرى الجرأة والإقدام، ولكنّه لم يجد سوى تعبير عن الخوف.

الساعة التاسعة

طلبت السيدة موريز من فيرتشايلد وصديقه السامي يوليوس الحضور للرقص، فأخبرها فيرتشايلد أنّه سيحضر بعد أن يأتي بجوردن والكابتن ايرس.ولكنّها رفضت قائلة:

– إنّنا سنرسل الخادم ليدعوهما..

فقال فيرتشايلد:

– أعتقد أنّه من الأفضل أن أذهب بنفسي إذ قد لا يحضر جوردن مع الخادم.

فاضطرت السيدة موريز إلى السماح لهما بذلك.

وراح مستر تاليافيرو يرقص مع جيني. والسيدة وايزمان مع الشاعر مارك على حين لم يكن للآنسة جيمسون شريك فراحت تلعب الورق وحدها..

وقالت السيدة موريز:

– يستحسن أن نتبادل الشركاء في الرقص.

وجلست باتريشيا دون شريك.

وعندما حضر بيت ذهبت إلى سطح اليخت، فشاهدتها الآنسة جيمسون..

فقالت:

– ماذا تفعلين هنا؟ إنّ السيدة مورير تريد أن تراكِ.

فقالت باتريشيا:

– لقد هربنا منها.

فقالت جيمسون:

– إنّها تريد بيت فيما أظن.

ودخلت جيني إلى غرفتها وراحت تخلع ملابسها، وفجأة حضرت باتريشيا، وسألتها عن لفافة تبغ فأخبرتها بأنّها لا تدخن.

فسألتها باتريشيا:

– هل تريدين ملابس للنوم؟

فقالت جيني:

– لا، أستطيع أن إرتديها.

وطلبت باتريشيا من جيني أن تطفئ الضوء، فقامت جيني بإطفاء الضوء، وكان الجو حارًا، فشعرت بالضيق الشديد.

وقالت باتريشيا:

– ما هو شعورك إذا كنت في رحلة وكلّ مَن فيها على شاكلة مستر

تاليافيرو؟

فقالت جيني:

– أيّهم تاليافيرو؟

فقالت باتريشيا:

– ألا تذكرينه.. إنّه ذلك الشخص الضئيل المزعج.

فقالت جيني:

– لقد تذكرته.

فقالت باتريشيا:

– ماذا مِن أمر بيت؟ إنّه متضايق من أمر تاليافيرو.

فصمتت جيني لحظة، ثمّ قالت:

– إنّه الآن على ما يرام.

فقالت باتريشيا:

– إنّك تحبين الألفة؟ أليس كذلك؟

فقالت جيني:

– إنني معتادة ذلك.

فقالت باتريشيا:

– خير لكِ أن تفتحي عينيك، إنّ ألمس جيمسون تحاول اِختطاف

بيت منك.

فقالت جيني:

– إنّ بيت رجل واعٍ..

فقالت باتريشيا:

– هل تعرفين ماذا تريد من بيت؟

فقالت جيني:

– لا.. ماذا تريد؟

فقالت باتريشيا:

– هل تعرفينها جيدًا؟ هل تعرفين أي نوع من الفتيات هي؟

فقالت جيني:

– ماذا تريد من بيت؟

فقالت باتريشيا:

– إنّها تريد أن ترسم صورة له..

فقالت جيني:

– وماذا بعد ذلك؟

فقالت باتريشيا:

– إنّها تريد رسم صورة له كي تخطب وده.

فقالت جيني:

– هذه طريقة لا تصلح مع بيت، فهو غير معتاد إيّاها.

فقالت باتريشيا:

– إنّني لا ألوم بيت لأنّي أعرف أنّه لا يُريد إضاعة الوقت بهذه الطريقة.

فقالت جيني:

– قد تكون الفكرة مناسبة لأمثالك، ولكن بيت لن يدع اِمرأة ترسمه.

وراحت جيني تروي لرفيقتها حوادث من حياتها السابقة، ثمّ قامت باتريشيا بجانب جيني.

ولم يعد فيرتشايلد مع رفاقه كما وعد السيدة مورير، وقد كانت هي تعرف ذلك؛ لذا لم يدهشها عدم عودته.فعاد ضيوفها إلى لعب الورق..

وقالت تحدث نفسها:

– يبدو أنّ الجميع يمتّعون أنفسهم ما عدا جوردن، فهو قاسٍ حاد المزاج، لست أدري ماذا صنع له؟!

ونهضت السيدة مورير، وطلبت من السيدة وايزمان وتاليافيرو وجيمسون السماح لها بالحث عن جوردن فأذنو لها.ووجدت السيدة مورير جوردن وقد مال فوق حاجز الزورق، فوقفت معه وراحت تتطلّع مثله إلى البحر وإلى القمر، وهو يرسل أشعته فوق سطح الماء.

وقالت له:

– إنّ قلّة منّا يمعنون في النظر في أنفسهم. ألا تعتقد ذلك؟.

فقال جوردن:

– نعم..

فقالت مسز موريز:

– إنّ العالم مليء بالشقاء، وأنّ الفنانين يشعرون بالسعادة عندما يحصلون على الوحي لأعمالهم.

– أمّا بالنسبة إلينا.. فمِن العسير أن نحصل على مثل هذا الإلهام.

– آمل يا مستر جوردن أن تجد في الرحلة ما يعوضك عن بعدك عن عملك.

فقال جوردن في اِقتضاب:

– أرجو ذلك..

ثمّ رنا إلى وجه مسز موريز وأردف قائلًا:

– هناك شيء في وجهك يختفي وراء هذا المرح السخيف..

فصاحت مسز موريز قائلة:

– مستر جوردن..

وأحسّت بنفسها كما لو كانت ستفقد رُشدها.

وخيم الضوء على المكان، واليخت يشق عباب الماء بسكون.

الساعة الحادية عشرة

قالت السيدة وايزمان:

- هل تعلمون أنّه لو بقى الحال هكذا ليلة أخرى فسأطلب من يوليوس أن يتبادل مكانه معي على المائدة مع دوسون والكابتن ايرس.

وسألها مارك فروست:

- ألا تنتظرين دوروثي؟

فقالت:

- إنّها تستطيع العناية بأمر نفسها.

وأقبلت السيدة مورير، ثمّ جلست فمالت نحوها السيدة وايزمان وسألتها:

- هل أنتِ متوعكة؟

فقالت السيدة مورير:

- إنّي بخير، وقد كنت أجلس في ضوء القمر.

فقالت السيدة وايزمان:

- لقد كنت أعتقد أنّ مستر جوردن كان معك!

فقالت موريـر:

– يا لهؤلاء الفنانين!

فقالت السيدة وايزمان:

– ويا لجوردن أيضًا؟! لقد اِعتقدت أنّه ذهب مع دوسون وفيرتشايلد ويوليوس الرجل السامي.

فقالت السيدة موريـر:

– هلُمّ بنا إلى الفراش!

وقالت وايزمان لنفسها:

– لست أدري ماذا حدث لها؟ لابُد أنّ شيئًا قد حدث لها.

الساعة الثانية عشرة

اِرتدت باتريشيا ملابس الاِستحمام، ووقفت بباب الغرفة حتى شاهدت حركة في الممر.

ووجدت الخادم دافيد وقد اِرتدى ملابسه البيضاء.. فقالت له:

– أين ملابس الاِستحمام؟

فقال:

– لا أدري؟

فقالت:

– يمكنك أن تقود الزورق.. هلُمّ بنا..

وأحضر الخادم المجاديف، ثمّ جلس في الزورق وأداره.

وإستقلت باتريشيا في الزورق وهو يسير فوق صفحة الماء أشبه بنغمة موسيقية، وضوء القمر يخيم على المكان فيزيده جمالًا.ثمّ نزلت باتريشيا إلى الماء وراحت تسبح وراء القارب.

وقالت:

– إنّ الماء دافئ..

فقال دافيد:

– يستحسن ألّا تبتعدي عن الزورق.

وإستمرت باتريشيا في السباحة حتى إستطاعت أنّ تغطس وأن تسبح بمفردها وهو يتطلّع إليها.

اليوم الثالث

الساعة الخامسة

خرجت باتريشيا من الممر المظلم في رداء أبيض شفاف، وصعدت إلى سطح اليخت لتملأ رئتيها بالهواء العليل.. ونزلت إلى الماء، ولم تكن ترى شيئًا سوى السماء والماء. وأخذت تسبح ببطء وتحاول ألّا تبتعد عن اليخت. ثمّ اِقتربت من اليخت وأمسكت بالشراع، واِنسلت ودخلت اليخت وقالت لدافيد:

– سأعود بعد لحظة!

وعادت باتريشيا بعد ثلاث دقائق وقد اِرتدت ثوبًا ملونًا.

وأشرق الصباح، وكان السكون يخيم على اليخت، وقالت:

– هل نستطيع الوصول إلى الشاطئ بدون أن نركب الزورق الكبير؟

فقال دافيد:

– يمكن الذهاب إلى الشاطئ سباحة.

فقالت باتريشيا:

– ألا يمكن أن ننزع الزورق عن اليخت ثمّ نعيده إلى مكانه بعد أن نربطه؟

فقال دافيد:

– هذا ممكن.

ووصل الاِثنان إلى الشاطئ وربط دافيد الحبل بوتد في الأرض.

وقالت باتريشيا:

– ما اِسم هذه البلدة؟

فقال دافيد:

– لست أدري..

فقالت باتريشيا:

– آه.. إنّها بلدة "مانديفل" التي كانت تتحدث عنها جيني، ثمّ سحب دافيد الحبل، فاتّجه الزورق نحو اليخت.

فقالت باتريشيا:

– الوداع يا نوزيكا.. الوداع أيّها اليخت.

ثمّ أخرجت بعض النقود التي اِستطاعت الحصول عليها من أمتعة عمتها ومن السيدة وايزمان والآنسة جيمسون. وأعطته إيّاها، وقالت:

– لنتناول طعام الفطور الآن!

الساعة السادسة

قالت باتريشيا:

– إنّني جائعة.. أُريد أن آكل شيئًا.

فقال دافيد:

– أتريدين أن أضرم نارًا؟.

فقالت:

– لا.. إنّنا قريبون من البحيرة، وقد يرانا أحد، لنبتعد عن الشاطئ.. لنجلس بجوار شجرة ريثما ينقشع الضباب..

وشعرت باتريشيا برجفة تسري في أوصالها، وسمع الاِثنان صوتًا يتغنى بأنشودة حب.

الساعة السابعة

اِبتعد الاِثنان عن البحيرة، ولكنّهما لم يجدا الطريق، ووقفا يأكلان البرتقال.

وقالت له:

– لا تنظر إلي هكذا.

فقال:

– وكيف تريدين أن أنظر إليك؟

فقالت:

– أنت تعرف. اِنظر إلي كرجل.

واِنقشع الضباب، وسطعت الشمس، وجلست تدخن لفافة تبغ، وفجأة أمسكت بشيء يمشي على ساقها، وكان حشرة حمراء، فقال لها:

– ما هذا؟

فقالت:

– أعطني جواربي.. لا تنظر إلي هكذا.

وسمع الاِثنان صوت صفارة اليخت.

الساعة التاسعة

وعثرا على الطريق، ووجدا أنّ هناك مستنقعًا يفصلهما عن الطريق.

فقالت:

– أين مانديفل؟

فقال:

– مِن هذا الطريق.

فقالت:

– لقد كنت تقول أنّك لا تعرف مكان المدينة!

فقال:

- لقد كنّا في غرب هذه المدينة عندما وصلنا إلى الشاطئ والبحيرة وراءنا الآن، لذلك فالمدينة من هذا الطريق.

فقالت:

-كلّا إنّها مِن هذا الطريق.

فنظر إليها لحظة، ثمّ قال:

- أعتقد أنّكِ على صواب.

ثمّ سارا الاِثنان في الطريق الذي اِختارته.

الساعة العاشرة

وقفت جيني مع بيت على سطح اليخت، وراحت تحدّثه في بعض الأمور..

فقال بيت:

- لا تشغلي فكرك بهذه الأشياء.

ووقف الجميع فوق سطح اليخت، حيث أشعة الشمس والهواء المنعش.

الساعة الحادية عشرة

سار دافيد مع باتريشيا في طريق يبدو ألا نهاية له، ولاحظ بقعتين من الدم على جوربها.

وفي اليخت كانت السيدة وايزمان تستبدل ملابسها.

وقالت جيني:

– إنّ المستر تاليافيرو شخص مزعج، ولكنّه لطيف. ألا تعتقدين ذلك يا سيدة وايزمان؟

فقالت:

– أعتقد ذلك.

وقالت جيني:

– إنّ الفتى المنهمك دائمًا بمنشاره لطيف أيضًا.

وراحت تتأمل نفسها في المرآة.

ثمّ نادتها السيدة وايزمان، وقالت:

– هلُمّي بنا.

الساعة الثانية عشرة

جلست باتريشيا في الطريق تتألم وقالت:

– إنّها تؤلمني.

فمال دافيد نحوها، وهتف باِسمها مرتين.

فقالت:

– اِنظر إلى ساقي.. وكانت هناك بقع داكنة اللون.. إنّ البقع منتشرة

في جسدي.. لابُد أن أغطس في الماء. إنّني أموت.

فقال دافيد:

– سآتي لكِ ببعض الماء، اِنتظري هنا.

فقالت:

– هل ستحضر بعض الماء؟

فقال:

– سأفعل، اِنتظري هنا.

ثمّ أخذ قطعة من قميصها غمسها بماء، فقالت له:

– أُريد جرعة ماء يا دافيد.

فقال:

– سنحصل على الماء بعد خروجنا من المستنقع.

وكان الطريق طويلًا، لا نهاية له، والأشجار قائمة على جانبيه.

وقالت له:

– خُذ هذا القميص، واِغمسه في الماء، وضعه على وجهي.

فقال:

– اِرتدي قميصي؟

فقالت:

- إنّها ستأكلك بدون القميص.

فقال:

- إنّ الحشرات لا تؤذيني بالطريقة التي فعلتها بكِ، ولست في حاجة إلى القميص.

فقالت:

- كلّا، اِحتفظ به، ولكنّي أريد أن ألبسه تحت ملابسي إذا كنت لا تريده.

وقالت له بعد أن عاونها في اِرتداء القميص:

- سأفعل شيئًا من أجلك ذات يوم. وسأردّ لك هذا الصنيع، دعنا نخرج من هذا المكان.

الساعة الواحدة

قامت السيدة وايزمان والآنسة جيمسون بتخفيف وقع الصدمة على السيدة مورير عندما علمت بهرب باتريشيا.

وقال فيرتشايلد:

- من الممكن أن يحدث أي شيء في الحياة، وأمّا في القصص فإنّ الشخصيات تخضع لحدود معينة.

وقالت وايزمان:

– هذا صحيح.. ولهذا فإنّ الأدب فن، وأمّا علم الأحياء فليس فنًا.

وقال فيرتشايلد:

– الفن هو كلّ ما يُصْنَع بصورة جيدة، وعن وعي، وأنا أُؤيد أن يختصر الفن على الرسم.

فقالت السيدة موريز:

– إنّ الفن هو الحياة، ووجود الروح الجميل، ألا تعتقد يا مستر جوردن أنّ هذا هو عمل الفن.إنّه غذاء الروح..وهو لإشباع الرغبات..أليس كذلك يا مستر تاليافيرو؟.

وسارت باتريشيا مع دافيد في الطريق الذي لا نهاية له.. وراحت تتوسل له، كي يحضر لها بعض الماء، وساءت حالها كثيرًا، وشعرت بآلام مبرحة.

فقال لها دافيد:

– اِخلعي حذاءك، وسيري في المستنقع مثلي، حافية القدمين فهذا يساعدك.

ففعلت ذلك، وشعرت بشيء من الاِرتياح. وبدأت الشمس تميل إلى المغيب.

الساعة الثانية

أصلحت جيني من شأنها، ثمّ صعدت إلى سطح اليخت، ووقفت ريثما يلحظ المستر تاليافيرو وجودها هناك.

وعندما أقبلت قالت له:

– كنت أرقب تلك الأشياء التي في الماء.

ثمّ تطلعت جيني حولها، لترى إذا كان هناك أحد. ثمّ قالت:

– إنّ الشمس شديدة الحرارة هنا.

وخرجت باتريشيا ودافيد من المستنقع أخيرًا، ولكن الفتاة لم تستطع السير، فقد كانت الحرارة شديدة والحشرات والسحالي تملأ المكان أمامهما والغبار قد سدّ الأفق.

فقالت:

– لا أستطيع السير، ماذا سنفعل الآن؟ إنّني متعبة، أفعل شيئًا من أجلي يا دافيد.

وساعدها دافيد لتستريح قليلًا، ولكنّها ما لبثت أن صاحت:

– يجب أن نذهب بسرعة.. ساعدني.. لا أُريد أن أموت هنا، إنّني مريضة.

ثمّ اِستلقت على الأرض، وأغمضت عينيها، واِستسلمت للنوم.

الساعة الثالثة

قال فيرتشايلد يحدث نفسه: لقد أصبحت الحياة في اليخت تثير الكآبة.

واِحتشد معظم الضيوف في الزورق، الذي اِتجه إلى الشاطئ، وبقى بيت مع السيدة مورير.

سار الزورق نحو الشاطئ، وراح الرجال يتبادلون التجديف.وعندما أوشك الزورق الوصول إلى الشاطئ هاجمت الرجال أسراب من الحشرات الحمراء اللون.

فقال تاليافيرو:

– يستحسن أن نعود من أجل السيدات.

ثمّ عاد نحو الشاطئ من جديد، وعادت الضوضاء والحركة.

وأمسك مستر تاليافيرو بالحبل المعلق باليخت، وقال إنّه غير مشدود.

فقال له فيرتشايلد:

– اِسحب الحبل.

فقال تاليافيرو:

– اِسحب أيّها الشيطان.

فهتفت تاليافيرو:

– إنّ اليخت يسير.

وراح الجميع يلوحون بأيديهم للسيدة مورير، فردت على التحية.. وسار اليخت ببطء نحو الشاطئ حتى اِقترب منه.

وفجأة صرخ مستر تاليافيرو، وهوى إلى الماء، واِجتذب معه جيني.. وما لبث مستر تاليافيرو أن خرج من الماء.

وقام يوليوس بإنقاذ جيني، على حين راحت السيدة وايزمان تجفّف جسد جيني، وتجري لها تنفسًا صناعيًا، حتى عادت إلى وعيها..ونظرت جيني إلى يدها، فوجدت فوقها بقعًا حمراء اللون، أخذت تكبر كلّما نظرت إليها، فأخذت تبكي في حرقة وألم.

وقالت باتريشيا بعد أن أفاقت من إغمائها:

– عندما تهرب مع فتاة تأكد أن تكون غير ضعيفة.. دعنا نذهب، ولكنّها لم تستطع السير فقالت:

– ماذا سنفعل؟

فقال دافيد:

– سأحملك على كتفي!

فقالت باتريشيا:

– هل تستطيع..؟! أنت متعب.

فقال دافيد:

– سأحملك حتى نصل إلى مكان ما.

وألقت باتريشيا برأسها فوق كتف دافيد، وقالت:

–أنت لطيف معي يا دافيد.

قامت السيدة وايزمان بتنظيف يد جيني، ووضعت رباطًا حولها، وخلعت جيني ملابسها، ثمّ اِرتدت ملابس باتريشيا، ووقفت أمام المرآة.

وقالت جيني:

– أليس الثوب على ما يُرام؟

فقالت السيدة وايزمان:

– اِخلعي هذا الثوب، سأبحث لكِ عن ثوب آخر.

فقالت جيني:

– حسنًا سأفعل، أعتقد أنّ أي ثوب مناسب لجسمي.

فقالت السيدة وايزمان:

– هذا صحيح، خذي هذا الثوب الأسود، كيف حال يدك الآن؟

فقالت جيني:

– إنّها بخير.

الساعة الرابعة

سار دافيد وباتريشيا يحملها على كتفه، وراح يطأ أرض المستنقع، والحشرات تلدغه كالسياط، فلَم يئن ولم يتراجع، ولم يكن يحس بشيء،

سوى ذلك الثقل على كتفه، وشعر أنّ فمه مفتوح فأغلقه.

وقالت باتريشيا:

– دعني أنزل. هذا يكفي.

فقال:

– كلّا.. لست متعبًا.

وكانت دقات قلبه تتوالي بصوت مسموع، وشعر بأنّه بحاجة إلى ماء، ولم يسمع سوى صوت أزيز على مقربة منه.وكان هدير البحر يصل إلى أُذنيه.وكان يتراءى له أنّ أمامه سرابًا كما لو كان يسير في كهف، وهدير البحر أمام الكهف.

وراح يحدث نفسه، بأنّه لَم يبقَ سوى ثلاث خطوات، ثمّ يصل إلى البحر أو إلى الطريق.

ومضى بعد الخطوات: واحدة. اِثنتان. ثلاثة.

وجفّ حلقه، وتدلّى لسانه، وأرسل صوتًا أشبه بفحيح الأفاعي، وقالت له باتريشيا:

– اِنزلني على الأرض، هناك لافتة، إنّني أستطيع السير.

وتدلّت من فوق كتفيه، فوقع على ركبتيه، ثمّ اِستند على يديه ليقف، فركعت إلى جواره، وراحت تمسح على رقبته لتخفّف من التعب الذي حلّ به.

ثمّ رفعت رأسها نحو اللافتة وقرأت: مانديفل ١٤ ميلًا. ورأت سهمًا يشير إلى الجهة التي أقبلا منها.وتطلّع فيرتشايلد إلى تاليافيرو، وقد علاه اليأس وراح يضحك.

فقال السامي يوليوس:

– اِضحك مثلما تشاء، إذا اِحتج مستر تاليافيرو فسنؤيده في اِحتجاجه، فهو الشخص الوحيد الذي أُصيب بضرر حقيقي من ذهابنا إلى الشاطئ.

فقال فيرتشايلد:

– هذا صحيح، وأنا أحاول أن أعوض عن هذا الضرر.

ثمّ توقف، وقال:

– أين جوردن؟ أليس هناك أحد يعرف مكانه؟

فقال السامي:

– قد قضينا وقتًا طويلًا، وقسينا كثيرًا بسبب الفن.

فقال فيرتشايلد:

– إنّ الفنان يحصل على الكثير من فنه الذي يملأ حياته.

ثمّ فتح الباب، فوجد الكابتن ايرس وقد جلس يتصفح كتابًا، فقال له فيرتشايلد:

– لقد فاتك ما كنّا فيه.

فقال ايرس:

– فاتني هذا..

فسَرَدَ عليه ما حدث، وكيف أنّ تاليافيرو سقط في الماء.. وأخذ الرجل السامي الكتاب من يد ايرس، وقال له:

– ما هذا؟

وحدّق الرجل السامي فيه، فقال ايرس:

– لقد كنت أُسلي نفسي، برغم أنيّ فقدت هواية القراءة الآن.

فقال السامي:

– إنّ الحرب شر، ماذا كنت تقرأ؟

فقال الكابتن ايرس وقد رفع الكتاب مرة أخرى:

– إنّني فقدت هواية القراءة..

وطلب فيرتشايلد بعض الشراب، ثمّ قال:

– دعنا نَرَ هذا الكتاب.

فقال الرجل السامي:

– لا شأن لكَ به.. تناول الشراب.

وراح الجميع يتناقشون حول جدوى كتاب الجمهورية لأفلاطون، واِحتدم النقاش، دون الوصول إلى نتيجة أو الاِتفاق على رأى.

الساعة الخامسة

أقبل المساء كئيبًا، واِفترش دافيد الأرض قرب إحدى الأشجار، وظلّ على تلك الحال فترة من الزمن، نهض بعدها وأخذ يبحث عن باتريشيا، فوجدها تقف مستندة إلى جذع الشجرة بلا حراك.. والضباب يخيّم على المكان، وهناك نار خفية.

وقالت باتريشيا:

– إنّه لمأزق، إنّها غلطتي، إنّني آسفة يا دافيد، ماذا سنفعل؟

وتطلّعت إليه، وكررت السؤال مرة أخرى.

فقال:

– اِفعلي ما بدا لكِ.

فقالت:

– تعال إلى هنا يا دافيد.

فجاء متثاقلًا، يجر قدميه في الطين، وتطلّعت لحظة إليه دون حراك وأمسكت به قائلة:

– ألا تستطيع أن تفعل شيئًا؟ ألا تستطيع أن تغير ما حدث؟

فقال دافيد في صوت متهدج:

– ماذا تريدين أن أفعل؟ اِفعلي أنتِ ما بدا لكِ.

فقالت باتريشيا:

– ما أنا إلّا حمقاء.. على حد تعبير أخي.

فقال دافيد:

– لابُد لنا من الخروج.

فقالت باتريشيا:

– أخبرني ماذا ترى وسأفعل ما تقول.

فقال دافيد:

– إنّ الأمر على ما يُرام.

فقالت باتريشيا:

– ليس الأمر كذلك.

وتناهى إلى أسماعهما صوت خافت بعيد، فقال دافيد:

– إنّه صوت قارب، إنّنا على مقربة من البحيرة.

– نعم، لقد سمعت الصوت مُنذُ برهة، وهو يقترب منّا.. من الأفضل أن تسترد قميصك.. أدر ظهرك لكي أخلعه.

الساعة السادسة

وقال أحد البحارة إلى دافيد وباتريشيا:

– إنّني أعرف أين الزورق الخاص بكما، إنّه على بعد ثلاثة أميال في

البحيرة..

ووضع الرجل صفيحة ماء على حاجز شرفة منزله، الذي يقع عند نهاية الغابة، ثمّ وقف في الشرفة وراح يرقب باتريشيا، وهي تصب الماء من الصفيحة على رأسها.

ثمّ سألها قائلًا:

– هل كنتما تجولان في المستنقع طوال النهار؟ لماذا تريدان العودة الآن؟

وإستشاط دافيد غضبًا، إلّا أنّ باتريشيا هدأته، وقالت:

– لِنعد إلى الزورق أولًا! كم تريد؟

فقال الرجل.

– خمسة دولارات مقدمًا.

– هاك النقود.

وتوجّه الإِثنان إلى زورق الرجل، ثمّ ركبا، فسار بهما الزورق.

وقال لها البحار:

– من الخير أن ترافقي رجلًا آخر في المرة القادمة.

– اِسكت! دعه يسكت يا دافيد.

فحدّق الرجل في وجهها، وقال:

– اِسمعي!

– اِصمت. لقد أخذت أجرتك فدعنا نذهب.

فقال الرجل:

– حسنًا.

ثمّ شتمها بعبارات نابية.

فنهض دافيد من مكانه، وهمّ أن يتشاجر معه، غير أنّ باتريشيا حالت بينه وبين الرجل، وهي تصب جام غضبها ولعنتها عليه، وقالت:

– هلُمّ بنا. إذا تفوّه بكلمة، فالقِ به يا دافيد في الماء.

وسار الزورق بهما حتى خرجا من النهر إلى البحيرة، وكانت الشمس قد مالت إلى الغروب.

توقف الزورق قرب اليخت، فصعدت باتريشيا ومعها دافيد.ولم يكن هناك أحد على سطح اليخت.وعاد الزورق من حيث أتى.

وقالت باتريشيا:

– دافيد إنّني آسفة!

ثمّ أمسكت به، وطبعت قبلة على جبينه، ثمّ تركته ونزلت إلى أسفل اليخت. ووجدت الآخرين يتناولون طعام العشاء.واِستقبلها الجميع بدهشة، ولكنّها تجاهلتهم.

وقالت لها العمة مورير:

– أين كنت يا باتريشيا؟

– كنت أتنزه.

– باتريشيا.

– إنّني مُدينة لك بستة دولارات يا آنسة جيمسون.

وأعطتها النقود، ثمّ أعطت السيدة وايزمان دولارًا، وقالت لعمتها:

– سأُعطيك الباقي عندما نصل إلى المنزل. لقد أعدت إليك الخادم، فليس هناك ما يدعو إلى الإِنزعاج.

فقالت السيدة مورير:

– ألم يأتِ المستر جوردن معك؟

– لم يكن معي، أو لماذا كنت آخذه معي طالما معي رجل آخر؟

فأزبد وجه السيدة مورير وشحب، ثمّ صاحت:

– باتريشيا!

– أُفٍّ لكم.. إنّني جائعة

الساعة التاسعة

جلست جيني في المساء تتساءل كيف يستطيع الكابتن ايرس أن يرتدي الملابس الكاملة في هذا الجو الحار.

وأقبل الكابتن نحوها، وقال:

– إنّك تستمعين بسكون الماء!

وكانت هي في ملابس باتريشيا أشبه بفاكهة حان قطفها شقراء فاتنة.

وقال الكابتن:

– لقد كنت في طريقي إلى أسفل اليخت.

وكانت جيني أشبه بزهرة يانعة.

واِستدار ايرس كأنّما سمع اِسمه من الخلف، ثمّ اِستطرد قائلًا:

– هل أنت من نيو اورليانز؟

فقالت:

– إنّني من اسبلاناد، إنّه شارع في نيو اورليانز.

فقال ايرس:

– هل تحبين الإقامة هناك؟

– لست أدري، ولكنّي أقيم هناك بصفة دائمة.

– لقد كنت أنوي الهبوط.

– إنّها ليلة جميلة يطيب فيها السمر.

– السمر!

– أين ستذهب أنت والرفاق؟

– ربّما إلى مانديفل.

– لقد كنت هناك.

– هل تذهبين إلى هناك كثيرًا؟

– أحيانًا.

– هل تذهبين مع أحد؟.

– نعم، فلا أعتقد أنّ أحدًا يذهب إلى هناك بمفرده.

– نفترض أنّني ذهبت معك إلى هناك غدًا.

– غدًا!

–الليلة.. فما قولك؟

– هل نستطيع ذلك الليلة؟ وكيف نذهب؟

– مثل أولئك الذين ذهبوا صباح اليوم، هناك ترام أو أتوبيس أو قطار في أقرب قرية. أليس كذلك؟

– لست أدري لقد عادا في زورق.

– في زورق، سنذهب غدًا إذن.

– حسنًا.

ثمّ تولّى عنها ايرس وانصرف، فأرسلت زفرة طويلة. وحملقت جيني في الماء وراحت تفكر في الموت واليأس، فشعرت بخوف ورعب شديدين. وعندما وقف تاليافيرو إلى جانبها عرفته بالغريزة، وأفاقت من تخيلاتها.

وقالت جيني:

– لقد أخفتني.

ثمّ جرت مسرعة نحو الضوء، ودلفت إلى غرفتها، وكانت الغرفة بظلمة حارة فأضاءتها، ولم تجد السيدة وايزمان هناك، فخلعت ملابسها، ثمّ اندست في الفراش.. ولم تطفئ الضوء وظلّت مستيقظة دون حراك لا تدري ماذا تريد.. وأقبلت السيدة وايزمان وشاهدت القلق الذي ينتاب جيني، فسألتها عمّا بها ولكن الفتاة نسيت كلّ شيء، ثمّ فتحت عينيها وقالت:

– هل تعتقدين أن مستر جوردن غرق؟

فقالت السيدة وايزمان وهي تداعب وجناتها.

– لست أدري، إنّه إنسان غير محظوظ، وقد يحدث أي شيء لرجل تخلّى عنه الحظ، لا تشغلي بالك بهذا الأمر.

قال فيرتشايلد:

– هل تعتقدون أنّه ذهب لأّن باتريشيا هربت.

فقال مارك:

– هل أغرق نفسه بسبب الحب؟ إنّ الناس ينتحرون بسبب المال أو المرض لا بسبب الحب.

فقال فيرتشايلد محتجًا:

– لست أدري. لقد اِعتاد الناس أن يموتوا بسبب الحب، والطبيعة البشرية لا تتغير.

فقال الرجل السامي:

– إنّ مارك على صواب، فإنّ الناس يموتون بسبب الحب أيضًا.

فقال مارك:

– إنّ الذي يعتقد أنّ حبه قد فشل، يمكنه أن يضع كتابًا عن هذا الحب للإنتقام.. إنّ الذي يفشل في الحب لا يقدم على الاِنتحار، وإنّما يؤلف كتابًا.

فقال فيرتشايلد:

– لست أدري، فالناس يفعلون أي شيء، وأنّ الطريقة التي ذهبت بها باتريشيا مع دافيد كانت غريبة. ثمّ عادت دون أي اِعتذار، ودون أي تفسير، كأنّ شيئًا لم يحدث، هذا هو ما يعلّمه لنا شبان ما بعد الحرب، ولكنّي أعتقد أنّ الناس أمثالنا سينظرون إلى الحياة التي ورثوها، فيرون الشر في كلّ شيء، حيث الرغبة لا تنصاع للواجب. لقد تعلمنا أنّ الواجب مقدّس، وإلّا ما كان واجبًا. ولكن المرء وهو شاب قد يخطئ كثيرًا وبعد ذلك يصل المرء إلى مرحلة العمل، ثمّ التفكير ثمّ يصل إلى مرحلة الذكريات.

فقال مارك:

– إنّ الحياة تلقي على كلّ شيء ظلًا.

وبزغ القمر، وراح يرسل ضوءه فيبدد الظلام بخيوطه الفضية على صفحة الماء.

وقال فيرتشايلد:

– قد يكون هناك أُناس أشبه بالظلال في هذا العالم، يرون الحياة ظلًا باليًا، ولكنّي لا أتأثر بهؤلاء الناس أبدًا.

وجلس الجميع يتذكرون الشباب والحب والموت والزمن وقد ران عليهم السكون.

الساعة الحادية عشرة

ذهب مارك فروست والرجل السامي إلى النوم، وبقى فيرتشايلد الذي راح ينظر إلى صفحة الماء، ثمّ تطلّع إلى الحاجز الخلفي لليخت، فوجد شخصًا يجلس هناك وحيدًا دون حراك. وكان في مظهره شيء يثير فضول فيرتشايلد، فنهض من مكانه وتوجّه إلى هناك، فوجد دافيد رئيس الخدم يمسك بشيء في يديه. وكان حذاء نسائيًا علاه الطين. ثم نهض دافيد وانصرف دون أن ينظر إلى فيرتشايلد.

اليوم الرابع

الساعة السابعة

نهض فيرتشايلد من نومه، فشاهد قصاصة ورق أسفل الباب، فأخذها وقرأ فيها ما يلي:

عزيزي مستر فيرتشايلد:

إنّني أترك اليخت اليوم، فقد عثرت على عمل أفضل، إنّني أغادر الزورق قبل اِنتهاء الرحلة.

أخبر السيدة موريو بذلك، واِطلب منها أن تدفع خمسة دولارات أخذتها منك.

المخلص/ دافيد ويست

وأعاد فيرتشايلد قراءة القصاصة مرات، ثمّ وضعها في جيبه، وراح يستعيد ذكريات شبابه.

الساعة الثامنة

قال الجميع للسيدة موريو:

– لا تقلقي أبدًا، نستطيع أن تدبر الأمر بدون خادم.

فقالت مسز جيمسون:

– إنها نزهة وعلى الرجال أن يمدوا يد المساعدة.

ونظرت إلى بيت وقامت السيدة وايزمان، والآنسة جيمسون وباتريشيا بإعداد الطعام.

وعلى مائدة الطعام قال فيرتشايلد:

– لقد رأيت مستر جوردن في الزورق ونحن عائدون إلى اليخت.

فقال مارك:

– كلّا، إنّه لم يكن في الزورق، عندما عدنا، إنّني أذكر ذلك تمامًا .

فقال يوليوس السامي:

– هذا صحيح، هل هناك أحد يذكر أنّه شاهده في الزورق؟

فقال فيرتشايلد:

– لقد كان معنا، ألا تذكر أنّ مارك كان يضربه بالمجاديف. إنّني أذكر ذلك.

فقال مارك:

– لقد كان في الزورق مُنذُ البداية.

فقالت السيدة مورير:

– لست أدري ماذا نفعل؟! إنّه أمر فظيع.

فقال فيرتشايلد:

– إنّه سيعود حالًا.. إنّه لم يغرق.

فقالت باتريشيا:

– وإذا غرق؟ فسنجده على كلّ حال، فالماء ليس عميقًا.

الساعة التاسعة

وقف بيت وجيني وباتريشيا وأخوها قرب حاجز اليخت، فراح فيرتشايلد ينظر إليهم ويقول:

– عجبًا لهؤلاء الشباب يتحدثون عن الحياة دون هموم!

وأخذت السيدة وايزمان تتحدث عن التقاليد واختلافها.

وقال مارك:

– هل تتحدثون عن الحرية؟

فقال وايزمان:

– إنّ المرء لا يحتاج إلى حرية، لا يمكننا أن نتحملها، إنّ الحياة واحدة في كلّ مكان، وأنّ أساليب الحياة قد تختلف بين قرية وأخرى بسبب ظروف العمل، والتأثيرات الأخرى.

الساعة العاشرة

وقعت جيني تنظر إلى جوشن وهو يمسك منشاره، وقالت:

– إنّ الجو مناسب للسمر.

فقال:

– ماذا؟ ماذا يقلق بيت؟

ثمّ توقف جوشن عن تحريك منشاره على قطعة خشب. وراحت جيني تمشي أمامه، ثمّ قالت:

– أين سأجلس؟

فأفسح لها مكانًا، ثمّ قال:

– أين بيت؟

– إنّه هناك

– إنّ لدي عملًا، اِذهبي الآن.

فانصرفت جيني بعد لحظة

الساعة الحادية عشرة

أخذ الجميع يتحدثون عن الشعر القديم والحديث والفن، وراح بعضهم يلقي أبياتًا في الشعر والغزل والحب في أثناء المراهقة.

ثمّ قال فيرتشايلد:

– إنّ ما يعيب الشعر الحديث هو أنّك لكي تستوعبه يجب أن تكون قد مررت بتجربة عاطفية تشبه تلك التي مرّ بها الشاعر. إنّ شعر الشعراء المحدثين أشبه بزوج من الأحذية لا يستطيع أن يلبسه إلّا مَن كانت قدماه تماثل أقدام صانع الحذاء. على حين كان الشعراء القدامى يخرجون قصائد للجميع.

الساعة الثانية عشرة

توجه الجميع إلى قاعة الطعام لتناول الغداء، وكانت النسمات تهُب نظيفة من الشاطئ، وتقدم بيت الجميع ليبحث عن قبعته التي فقدها.

وقالت السيدة موريز:

– آه اِجلسوا أيّها السادة، إنّ الخادم قد هرب، وأنّ الأمور غير منتظمة، كما أنّ مستر جوردن اِختفى ولعلّه غرق.

فقال فيرتشايلد:

– إنّه على ما يُرام وسيظهر في الوقت المناسب.

فقالت باتريشيا:

– لا تكوني حمقاء يا عمتي،. لماذا يغرق جوردن؟

فقالت العمة موريز:

– إنّني تعسة لأنّ أشياء كهذه تحدث لي كما ترون.

فقالت باتريشيا:

– إنّه بشع ومغرور في نفسه، ولديه من الأسباب ما يدعوه إلى الغرق.

فقالت موريل:

– ولكن الشخص لا يعرف ماذا فعله الآخرون من أجله؟.

فقالت باتريشيا:

– وإذا كان قد غرِقَ في الماء فأعتقد أنّه يريد ذلك، وهو لا يتوقع منّا أن نجتمع هنا وننتظر قدومه. إنّني لم أسمع أنّ أحَدً اِختفى دون أن يترك مذكرة أو ورقة، هل سمعت بغير ذلك يا جيني؟.

وكانت جيني تجلس مترقبة، ثمّ تساءلت قائلة:

– هل غرقَ؟ لقد شاهدته في مانديفل ذات يوم.

وقالت باتريشيا:

– إذا لم يكن مستر جوردن قد غرق فمن الأفضل أن يظهر بسرعة لأنّنا يجب أن نعود إلى المنزل.

فقالت العمة موريل:

– هل يجب أن تعودي إلى المنزل؟ كيف ستعودين؟

وقالت تلك الكلمات في لهجة تنم عن السخرية.

فقال مارك فروست:

– ربّما سيصنع لها أخوها زورقًا بمنشاره.

فقال فيرتشايلد:

– إنّها لفكرة جميلة!، أليس لديك يا جوشن فكرة لكي نعود؟

فقال جوشن:

– لا تفكر في ذلك مرة أخرى.

فقالت باتريشيا:

– يجب أن تعود، إنّ في اِستطاعتكم أن تظلّوا هنا، ولكن يجب أن أعود مع جوشن إلى نيو اورليانز.

فقال مارك فروست الشاعر:

– وهل تعودين عن طريق مانديفل؟

فقالت موريز:

– إنّ سفينة السحب ستصل بين حين وآخر.

فقالت باتريشيا للمستر فروست:

– أنت خفيف الظل، أليس كذلك؟

فقال مارك:

– يجب أن أكون كذلك وإلّا فلا.

فقالت باتريشيا:

– يجب أن نعود، فسنذهب أنا وأخي إلى نيو هافن في الشهر القادم.

فقال جوشن:

– أهذا صحيح؟ اِسمعي. هل تريدين أن تقتفي أثري طوال حياتك؟

فقالت باتريشيا:

– سأذهب إلى بيل، لقد قال هانك ذلك.

فقال فيرتشايلد:

– هانك!.. من هو هذا؟

فقالت العمة موريز:

– إنّ هذا هو اِسم أبيها.

فقال جوشن:

– لن تستطيعي الذهاب، علي اللعنة إذا جعلتك تقتفين أثري طوال العمر، إنّني لا استطيع الحركة بسببك.

فقالت باتريشيا:

– اِصمت.. إنّني ذاهبة.

فقال فيرتشايلد:

– وماذا ستفعلين هناك، عندما يكون جوشن في الكلية، هل ستعملين؟.

فقالت باتريشيا:

– سأجول هناك في الأندية، إنّني لن أزعجه.

فقال جوشن:

– لن تذهبي.

فقالت بإصرار وعناد:

– إنّني ذاهبة، لقد قال هانك ذلك.

فقال جوشن:

– لن تريني أبدًا، ولن أدعك تلاحقينني.

فقالت باتريشيا:

– وهل ستكون وحدك هناك، إنذني لست ذاهبة لإضاعة الوقت هناك. سأذهب إلى أماكن لن تدخلها إلّا بعد ثلاث سنوات عندما تتخرج.. لا تقلق بشأني.

فقال جوشن:

– اِصمتي.. فربّما أرادت إحدى السيدات أن تبدي رأيًا.

الساعة الثانية

أقبلت جرارة السفن، وهي تشق عباب الماء من ناحية الجنوب وهي توحي بسحر غريب.

فقال مارك فروست:

– اِنظر إلى ذلك الزورق.

فصاحت السيدة موريز وكانت تقف خلفه:

– إنّها جرارة السفن، لقد وصلت الجرارة أخيرًا، وراح الجميع يهتفون ويهللون.

وقالت السيدة موريز:

– لقد وصلت الجرارة ونحن نتناول الغداء، هل أخطرتم القبطان بذلك؟ يا مستر تاليافيرو.

واِندفع تاليافيرو إلى الأمام، ووقف الجميع على ظهر اليخت، وراحوا يحدقون النظر في جرارة السفن. وصاح تاليافيرو:

– أيّها القبطان؟.

ولم يرد عليه أحد، فقال:

– لابُد أنّه نائم.

وقالت موريز:

– وأخيرًا سنغادر هذا المكان، لقد حضرت الجرارة. لقد طلبت اِستدعاءها مُنذُ أيام، ولكن أصبح باِستطاعتنا الآن أن نسير، أين القبطان؟ يجب ألّا ينام في مثل هذا الوقت!.

وقال فروست:

– ولكن ماذا بشأن جوردن؟

فقالت الآنسة جيمسون:

– دعنا نذهب أولًا..

وقال تاليافيرو:

– لقد اِستدعيت القبطان، ولكن يبدو أنّه نائم في غرفته.

وقالت السيدة موريير:

– لابُد أنّه نائم.. هل يتفضل أحد؟

فقال تاليافيرو:

– سأذهب أنا.

وقال فيرتشايلد:

– يجب أن نكون على اِستعداد تام عندما تبدأ الجرارة بسحب اليخت..

فقال مارك فروست:

– هذا صحيح.. يجب أن ننزل إلى أسفل اليخت، ونحزم أمتعتنا.. أليس كذلك؟.

فقال فيرتشايلد:

– لسنا عائدين إلى المنزل، لقد بدأنا رحلتنا مُنذُ فترة بسيطة أليس كذلك أيها الأصدقاء؟!

وتطلع الجميع نحو السيدة موريز، فحولت عينيها، ثمّ قالت:

– بالطبع لا.. إذا كنتم لا تريدون العودة.. ولكن القبطان أين هو؟ يجب أن نكون مستعدين.

فقالت السيدة وايزمان:

– حسنًا.. فلنستعد..

فقال مارك:

– لا أحد يعرف شيئًا عن إدارة الزوارق إلّا فيرتشايلد.

وعاد تاليافيرو بدون القبطان.

وقال فيرتشايلد:

– أنا.. لقد عَبَرَ تاليافيرو المحيط، وهناك الكابتن ايرس، إنّ جميع البريطانيين لهم خبرة في البحر.

وصاح تاليافيرو مرتاعًا:

– كلّا.. ليس هذا صحيحًا!

ونظرت السيدة موريز نحو فيرتشايلد قائلة:

– هل تتولّى زمام الأمور ريثما يحضر القبطان؟.

وتطلّع فيرتشايلد حوله بيأس، وقال:

– ماذا سأفعل؟. هل أصعد فوق سطح اليخت ومعي كيس من الرمل.. ثمّ أنثر الرمل؟

فقالت السيدة وايزمان:

– إنّ شخصًا مثلك أظهر تفوّقه خلال الأسبوع الماضي، يجب أن يعرف كيف يتدبر أمره.

فقال فيرتشايلد:

– لقد فكرت ألّا أصعد فوق سطح اليخت، ولكن يبدو أنّ هذا لن يكون.

فقالت الآنسة جيمسون:

– ينبغي أن تمسك الحبال بهذه الطريقة، هم يفعلون ذلك في كلّ السفن، لقد قرأت ذلك.

فقال فيرتشايلد:

– حسنًا سنمسك الحبال، أين هي؟

فقالت وايزمان:

– هذه هي مشكلتك.. أنت القبطان الآن.

فقالت السيدة موريير:

– سنبحث عن بعض الحبال ونمسك بها، هل تسمحين بذلك؟.

فقالت وايزمان:

– ألا يوجد ما تستطيع أن نلوح به كإشارة؟

فقال فيرتشايلد:

– نعم! لنمسك الحبال، وتستعد، هلمّوا أيّها الرجال!

وراح فيرتشايلد يمسك بالحبال، ثمّ قال:

– إنّني أتساءل عن مكان القبطان، من المؤكد أنّه لم يغرق.. هل تعتقد ذلك؟.

فقال الرجل السامي:

– لا أعتقد ذلك، إنّه يتقلى أجرًا على عمله. ها قد أقبل زورق من الجرارة.

وربطوا الحبال بشيء ما، وكشف الكابتن ايرس أنّهم ربطوا الحبل بشيء متحرك يسقط من مكانه عند أقل حركة، ففكوا الحبل وربطوه بشيء مثبت على ظهر اليخت.

وقال لصاحب الزورق:

– أين غرق ذلك الشخص؟

فقال فيرتشايلد:

– لقد فقدناه بين هذا المكان والشاطئ.

فقال صاحب الزورق:

– هل ستمنحونني مكافأة؟

فقال فيرتشايلد:

– مكافأة!

فقالت السيدة موريز:

– مكافأة. نعم، لقد عرضنا مكافأة.

فقال الرجل:

– كم؟

فقال السامي:

– عندما تجده أولًا ستحصل على مكافأة.

فقال فيرتشايلد:

– لقد بدأنا الرحيل، فاِذهب واِبحث عنه، وسنحضر في الزورق ونساعدك وتحصل على مكافأة.

وتحرك الزورق، وأمسك الرجال بالمجاديف، واِستعدوا للعمل. وتبع الزورق زورق آخر، وسار الزورقان بقيادة فيرتشايلد. وكانت الشمس شديدة الحرارة، وراح الزورقان يسيران ببطء شديد، وتحرك زورقان آخران، وبدأت الزوارق الأربعة عملية البحث هنا وهناك وكان الوقت بعد الظهر، وقد وقف اليخت والجرارة دون حركة في جو مشمس بديع.

وسلكت الزوارق الطريق الذي سلكه ركاب اليخت في الأمس، وهم يبحثون دون جدوى. وكان الماء راكدًا كأنّما لا يبالي بما يفعله هؤلاء الناس. ورفع فيرتشايلد رأسه، وتطلع نحو شخص في زورق بخاري، وقال:

– هل أنت شبح أم أنا واهم؟

فقد كان جوردن يجثم في الزورق البخاري القادم. ومضى يحدق بعضهما إلى بعض، وجاءت بقية الزوارق.

وقال صاحب الزورق:

– هل هذا الذي تبحثون عنه؟ أم تريدون الذهاب إلى مكان آخر؟

فضحك فيرتشايلد ضحكة هستيرية.

الساعة الرابعة

عاد الزورق الصغير والزورق البخاري دون أن يحصل صاحب الزورق على مكافأة، وأطلقت الجرارة صفارة الرحيل. واتجه اليخت إلى الأمام مرة أخرى.

وحدّقت السيدة موريز في وجه جوردن، ولوحت بيدها كأنّها تريد ذبحه.

وقال فيرتشايلد:

– لقد رأيتك بعد عودتنا في الزورق.

فقال جوردن:

– ما كنت تستطيع ذلك، فقد غادرت الزورق بعد سقوط تاليافيرو.

فقال الرجل السامي يوليوس:

– ألم أقل لكم ذلك؟

فقال فيرتشايلد:

– ولكنّي رأيت.

– لو قلت ذلك مرة أخرى فسأقتلك.

وقال السامي لجوردن:

– هل اِعتقدت أنّ دوسون فيرتشايلد قد غرق؟

– نعم.. اِعتقدت ذلك.

– هل هذا الذي جعلك تعود؟

فوقف جوردن صامتًا، ثمّ رفع رأسه ونظر إلى الجميع شزرًا وأمسك فيرتشايلد بيد الرجل السامي وقال:

– ليست هذه هي المشكلة. إنّ المسألة هي هل سنشرب الليلة أم لا؟

فقال الرجل السامي:

– نعم، هذا صحيح، يجب أن يحتفل جوردن بعودته إلى الحياة.

فقال جوردن:

– كلّا.. لا أريد شيئًا.

فاحتجّ السامي، ولكن فيرتشايلد اِسكته، وعندما اِتجه جوردن نحو

الباب نهض وتبعه إلى الممر.

وكان ظهر اليخت خاليًا، ولكنّه تمهل، وسرعان ما أقبلت باتريشيا حافية القدمين.

ومدت إليه يدها قائلة:

– لقد هربت.

فقال جوردن:

– وأنتِ كذلك؟

فقالت باتريشيا:

– حسنًا، وقد عدت.

فقال جوردن:

– وأنا كذلك.

الساعة الخامسة

فقالت السيدة مورير:

– إنّنا نسير مرة أخرى.

فقالت وايزمان:

– ليس هناك من جديد.

فقال تاليافيرو:

– كنت أريد أن أقول شيئًا.

غير أنّ السيدة موريو نظرت إليه فسكت.

فقالت وايزمان:

– مساكين،! لقد اِضطروا إلى الوقوف طويلًا خلال الأيام الماضية.

فقال تاليافيرو:

– الشباب! شباب!

وقالت السيدة موريو:

– إنّنا نسير مرة أخرى على أيّة حال.

الساعة السادسة

وقفت باتريشيا بجوار جوردن فوق سطح اليخت، وقال لها:

– هل تدرين ماذا قال كيرانو ذات مرة؟، لقد كان هنالك ملك عنده كلّ شيء ويمتلك كلّ شيء من مجد وثروة وعظمة.

وجلس عند المساء في بلاطه، حيث خرير الماء وغناء العصافير، وراح يتطلع إلى قباب المدينة وإلى العالم.

فقالت: كلّا! ماذا؟

ولكنّه نظر إليها بِانزعاج! وأضافت:

– ماذا قال؟ هل كان يحبها؟

- أعتقد ذلك، ولا تستطيع أن تتركه أيضًا.

- وماذا فعل لها ؟ هل حبسها الناس؟

- نعم.. لقد حبسها في كتاب.

- في كتاب! أوه! هذا ما فعلته أنت. أليس كذلك؟. مع تلك الفتاة المصنوعة من رخام بدون ذراعين أو ساقين. أليس من الأفضل أن تجد فتاة حقيقية بدلًا من التمثال. ألم تحب أحدًا؟.

- نعم.

- لقد عرفت ذلك، يبدو أنّه لا توجد هناك اِمرأة تريد إضاعة الوقت مع قطعة خشب أو ما شابه ذلك. يجب أن تخرج من سجن نفسك. كم عمرك الآن؟.

- ستة وثلاثون.

- ستة وثلاثون! وتعيش في سجن مع قطعة صخر مثل الكلب الذي يعيش مع قطعة من العظم.يا للسماء!.. لماذا لا تتخلص من ذلك؟

ولكنّه راح يحدق فيها..

فقالت:

-أعطني هذا التمثال.

فقال جوردن:

– كلّا.

وتطلّعت إليه بشيء من الضجر!، وقالت:

– ماذا ستفعل به؟ هل لديك سبب للاِحتفاظ به؟ سأعطيك عشرين دولارًا و١٧ نقدًا.

ولكنّه واصل النظر إليها كأنّه لم يسمعها، ثمّ قال لها:

– لا.

– إنّك تدفعني إلى الجنون. ألا تقول شيئًا غير كلمة لا؟

ثمّ راح يداعبها، ويضع يده على وجهها كما يفعل المثال لكي يعرف تقاسيم وجه تمثاله.

فانتفضت، وقالت:

– ماذا تفعل؟

– أريد أن أتعرف على وجهك.

– هل تريد أن تنحت لي تمثالًا؟ هل تستطيع؟.

– نعم.

– هل يمكنني أن أحصل عليه، اِصنع اِثنين منه، وإذا لم تفعل ذلك فاعطني هذا التمثال الذي معك. وسأقف أمامك لكي تصنع هذا التمثال، ما رأيك؟

– هذا ممكن.

– اِفعل إذن.. هل درست وجهي؟

ثمّ نهضت من مكانها وهي تقول:

– اِدرسه جيدًا.

وراح يتمم لها قصة الملك، فقال أنّ الخادم رافق الملك في الشوارعِ والطرق، يحافظ عليه ويخدمه، وقال له ذات مرة:

– آه يا سيدي.. لقد أحببت فتاة من تلال جورجيا عندما كنت شابًا مُنذُ وقت طويل، ثمّ توفيت.

فقاطعته قائلة:

– ألا تعطيني التمثال؟

– نعم.

ثمّ تحولت عنه وعادت فنظرت إليه مرة ثانية، وقالت:

– سأعطيك خمسة وعشرين دولارًا.

– كلّا..

ثمّ اِنصرف، وقال يحدث نفسه:

– إنّ اِسمك أشبه بالجرس الذهبي الصغير داخل قلبي.

وواصل اليخت سيره، وأرخى الليل سدوله.

الساعة السابعة

توقف جوردن عند مدخل الممر وراح يفكر، وجلس الجميع حول مائدة الطعام يتناولون العشاء، وكان هناك أربعة مقاعد خالية لم يصل أصحابها بعد. إنّ لديه وقتًا ليذهب إلى غرفته، ثمّ يعود.

وتطلّعت باتريشيا فرأته فسألته إذا كان يريد أن يأكل. فتردّد لحظة، ثمّ جلس في النهاية. فقال فيرتشايلد فرحًا:

– يا إلهي!

فقالت السيدة وايزمان:

– اِجلس يا دوسون، لقد صادفنا الكثير في هذه الرحلة.

فقال موافقًا:

– أعتقد ذلك فعلًا، وهذا ما نفكر فيه أنا ويوليوس والكابتن ايرس عند كل وجبة طعام، وعندما نحضر إلى المائدة، ماذا ترون؟

فقال مارك:

– سآكل البرتقال الهندي أولًا.

فقال ايرس:

– لدينا الكثير من ذلك، أليس كذلك؟

فقالت السيدة مورير:

– بلى.. لدينا الكثير منه.

فقالت وايزمان:

– اِجلس يا دوسون، دعهم يجلسوا يا يوليوس.

فجلس فيرتشايلد، وقال:

– إنّ الجسم البشري يمكن أن يواجه كلّ شيء، فيمكن أن يشرب المرء ثمّ يرقص طوال الليل.

وقالت السيدة وايزمان للآنسة جيمسون:

– خذي هذا البرتقال، إنّهم يريدون البرتقال الهندي.

وقال فيرتشايلد:

– إنّ الجسم البشري يتحمل أن آكل برتقالة أخرى.

اِسمع يا يوليوس. لقد كنت أنظر إلى ظهري اليوم فوجدت الجلد يتصلب ويجف ويأخذ لونًا أصفر. وإذا اِستمرّ الحال كذلك فلن أجرؤ على خلع ملابسي أمام الناس.

وقال مارك فروست:

– سأخرج من هنا.

فقالت السيدة وايزمان:

– هل اِنتهيتم من الكلام، لنصعد إلى سطح اليخت.

فقالت السيدة مورير محتجة:

– لا يا مستر فيرتشايلد.

ونهضت السيدة موريو، وقالت:

– لقد وطأة قدمي شيئًا.

فنهض بيت وصاح إذ كانت قبعته تحت قدم السيدة موريو.

وقالت باتريشيا:

– ماذا بخصوص آل جاكسون؟

فقال فيرتشايلد:

– إنّ جاكسون العجوز يدعي أنّه من أحفاد هيكوري، وهي أسرة عريقة من الجنوب، تحتفظ بكبرياء الأسر العريقة في تلك المنطقة. ويحتفظ آل جاكسون بشيء كثير من الكبرياء، ولذا فهو لا يخلع حذاءه إلّا إذا كان مع أحد من الناس. وسأروى لكم سبب ذلك:

"كان جاكسون من أصحاب المكتبات أو ما شابه ذلك، ويتقاضى أجرًا بسيطًا لإعالة أسرة كبيرة. وكان يريد تحسين حاله بأقل جهد وعمل بصفته ينحدر من عائلة جنوبية عريقة، ولذا تراءت له فكرة أخذ قطعة من مستنقعات لويزيانا وتربية ماشية فيها، ولابُد أنّه شاهد كثرة الأعشاب والنباتات التي تنمو هناك، وتخلص من عمله في المكتبات وإبتاع بضعة أفدنة من مستنقع نهر تشوفونكتا وأطلق فيها الماشية مستغلًا أموال عم زوجته.

ولكن الماشية بدأت تغرق نفسها في المستنقع، لذلك صنع لها أحزمة نجاة من الأخشاب التي ورثها من عم زوجته من أسرة نيسي، بحيث إذا

غطست الماشية في مياه المستنقع طفت على وجه الماء، فيعيدها التيار مرة أخرى إلى اليابسة.

وسارت الأمور على ما يرام إلّا أنّ الماشية ظلّت تتناقص وتختفي، ثمّ وجد أنّ بعض الناس يستولون على الماشية، فصنع من الخشب ما يشبه الماشية، ثمّ اِبتدع حيلة أخرى، وصار يثبت قرونًا خشبية في رأس النعاج والخراف عند ولادتها.

وقد أدّى ذلك إلى تخفيف خسائره إلى حد لا يستحق الذكر.

وبعد فترة من الزمن، تلفت أحزمة النجاة، ولكن الماشية كانت تعلمت كيف تسبح. لذلك رأى جاكسون أنّه من المستحسن عدم اِستخدام أطواق النجاة، وأصبحت الماشية تحب الماء.

وعندما كان يحين وقت إطعام الماشية كان يضطر هو وأولاده إلى اِستخدام الزوارق لإخراج الماشية من المستنقع. وأصبحت القطعان لا تخرج من الماء.

وتعلمت السباحة إلى حد جيد، فاستحال عليه وأولاده إخراجها من الماء بسهولة، فاِضطر إلى اِستعارة زورق بخاري. وعندما أمسكوا برأس من الماشية وجدوا أنّ الصوف لم ينمُ إلّا فوق ظهره فقط، وأمّا بقية الجسم فكان أشبه بجلد السمك، كما أنّ ذيله اِزداد طولًا وعرضًا كالأسماك، وليست له أقدام طويلة. ولم يتعرفوا على الخراف الصغيرة البتة.

ومرّت الأيام، ولم يروا الجيل الجديد من الماشية، وأكلت الطيور ما أعدّوه للماشية، وعندما أقبل الموسم التالي لم يتمكنوا من الإمساك بالماشية

حتى بالزورق البخاري، ولم يروا رأسًا منها في ثلاثة أسابيع.

وكانوا يعرفون أنّ رؤوس الماشية موجودة، لأنهم كانوا يسمعونا أصواتها في أثناء الليل.

وكلما اِزداد تفكير جاكسون العجوز في ذلك اِزداد جنونه. وكان يقسم أنّه سيمسك بالماشية حتى لو اِضطر لشراء زورق يقطع خمسين ميلًا في الساعة، وشراء جهاز للغطس له وأولاده.

وكان له ولد يُدعى كلود هو شقيق آل جاكسون. وكان كلود شريرًا ومقامرًا وسكيرًا. وعقد كلود صفقة مع أبيه، بحيث يأخذ نصف كل رأس من الماشية يمسك به وبدأ العمل. ولم يكن يستخدم الزوارق أو أجهزة الغطس، بل كان يخلع ملابسه، ويطارد الماشية ويمسك بها.

وتبيّن لهم أنّ الجيل الجديد من الخراف ليس له صوف أبدًا. وأمّا لحوم الخراف فكانت أفضل لحوم في لويزيانا.

ومن أجل ذلك تخلّى جاكسون عن تجارة الماشية، وتحول إلى تجارة الأسماك على نطاق واسع.

وكان يدرك أنّ التجارة الأولى لن تدر ربحًا كبيرًا طالما أنّ كلود يستطيع الإمساك بالماشية. فعقد ترتيبات مع أسواق نيو اورليانز فانهال عليه الثراء.

فقال الكابتن ايرس:

– يا للسماء!

فقال فيرتشايلد:

– ورغب كلود العمل الجديد، وكانت مغامرة لاقت هوى في نفسه، فكرس لها جل وقته وأقلع عن المقامرة والتجوال في الليل. ومع مرور الأيام اِستطاع أن يسبق قطيع الماشية في السباحة والغطس، وأصبح يظل تحت الماء نصف ساعة أو أكثر. وكان لا يخرج من الماء حتى للأكل، فصاروا يحضرون له الطعام وهو في الماء. وكانوا لا يرونه مدة أيام، ولكنّه اِستمر في صيد الماشية وأرسالها إلى حظيرة أعدها جاكسون لها. وكانت في بعض الأحيان تطفو فوق سطح الماء قطعًا من لحوم الماشية، فاعتقد العجوز أنّ اللصوص هم الفعلة. ومرّ أسبوع دون أن يشاهد أحد كلود، وحدثت ضجة في حظيرة الماشية ذات يوم. وشاهد كلود خلف أحد اللصوص.

ورأى أنّ أعين كلود قد مالت إلى جانبي رأسه، واِتسع فمه وطالت أسنانه، فعرف الأب سبب خوف اللص. وكانت آخرة مرة يرى فيها كلود. وحدث عقب ذلك أن عمّ الخوف شواطئ السياحة في الخليج، وفزعت النساء وخاصة الشقراوات. وعرفوا أنّ سبب ذلك هو كلود جاكسون.

وتوقف فيرتشايلد عن الكلام، وجاءت باتريشيا نحوه، وربتت على ظهره، وكانت عيون جيني منصبة عليه دون أي تفكير.

أمّا الرجل السامي فكان يجلس فوق كرسي أشبه بالنائم.

وقالت باتريشيا:

– وماذا بعد ذلك. اِستمر في قصتك.

فنظر إليها بلطف ووعدها بإتمام القصة فيما بعد.

وفتح الرجل السامي عينيه.

وقال الكابتن ايرس:

– كم ربحوا من تربية الأسماك؟

فقال:

– ليس كثيرًا، فإنّ الأمريكيين لا يميلون إلى السمك، هلُمّ بنا لنصعد ونرقص.

الساعة التاسعة

جلست جيني وباتريشيا تتجاذبان أطراف الحديث، وقالت لها باتريشيا:

– إنّ الكابتن ايرس أخبرها بأن تذهب إلى مانديفل.

فسألتها جيني:

– ماذا قال؟ إنّه كالأحمق.

– إنّ الرجال غالبًا ما يلعنونك. فماذا فعلت لهم؟

– لم أفعل شيئًا، إنني أتحدث إليهم فقط.

– إنّ تلك العبارات التي تستخدمينها قد تثير الرجال.

– وهل اِستخدمت أنت تلك العبارات مع أحد؟

– لقد حاولتها مع جوردن.

– وماذا قال؟

– ضربني.

– حسنًا!

الساعة العشرة

راح المستر تاليافيرو يراقص جيني وبيت مع باتريشيا على حين أخذ الآخرون يتطلعون إليهم، وقال فيرتشايلد:

– اِنظر يا كابتن، اِنظر يا يوليوس، إلى باتريشيا وبيت.

ودخل حلبة الرقص وطلب من بيت أن يسمح له بمراقصة باتريشيا لكي تعلمه كيف يرقص فقالت باتريشيا:

– حسنًا سأعلمك.

وطلبت من بيت ألّا يذهب وأن يرقص مع جيني قليلًا، وراح الكابتن ايرس والرجل السامي يرقصان، وعندما اِنتهت الأسطوانة أدارت الآنسة جيمسون واحدة أخرى فطلب منها فيرتشايلد أن تضع أسطوانة معينة.

وتقدم الكابتن ايرس وطلب من باتريشيا أن ترقص معه على حين تخلى تاليافيرو عن جيني ورقص مع السيدة وايزمان ورقص الرجل السامي مع السيدة موريير. وأقبل جوردن من مكان ما وجلس في الظلام يراقب الراقصين فصاح به فيرتشايلد:

– هلُمّ يا جوردن.

ثمّ توجه إلى باتريشيا فتركها الكابتن وذهب إلى جيني.

فقالت باتريشيا:

– لست أعرف أنك ترقص.

فقال جوردن:

– لماذا؟

– يبدو أنّك لا تريد ذلك، وقد أخبرت العمة بأنّك لا ترقص.

– إنّني لا أستطيع.

– هل ستعطيني التمثال؟

فسكت، ولم تستطع أن ترى وجهه بوضوح، وقالت:

– لماذا لا تريد أن تعطيني إيّاه؟

فلم يَحِرْ جوابًا. وعندما كفت الموسيقى عن العزف ذهب فيرتشايلد إلى أسفل اليخت.

الساعة الحادية عشرة

وسار الجميع على مهل، وعادوا إلى سطح اليخت، وقالت الآنسة جيمسون للمستر بيت:

– ماذا تفعل في نيو اورليانز؟

فقال بيت:

– أشياء كثيرة، فإنني أعمل مع أخي.

فقالت الآنسة جيمسون:

– أعتقد أنّ لك عددًا أكبر من الأصدقاء. أليس كذلك؟ لابُد أنّ الفتيات يرغبن في الرقص معك. فأنت راقص بارع، إنّني أحب الرقص.

فقال بيت:

– حسنًا أعتقد ذلك.

فقالت الآنسة جيمسون:

– إنّني أتساءل إذا كنت أستطيع أن أرقص معك ذات مساء، إنّني لا أتردد على الأندية كثيرًا، لأنّه لا يوجد بين من أعرفهم من يجيد الرقص، وإنّني أرغب في الرقص معك.

فقال بيت:

– أعتقد ذلك.

***

دخلت باتريشيا غرفة عمتها دون أن تقرع الباب، فنهضت السيدة موريرمذعورة، ووضعت ثوبًا على جسمها كما تفعل النساء عادة، وبعد أن اِستعادت رباطة جاشها هرعت إلى الباب وأغلقته، فقالت باتريشيا:

– أنا يا عمتي.

واِلتقطت العمة أنفاسها، وراح صدرها يعلو ويهبط، ثمّ قالت:

– لماذا لم تقرعي الباب؟ يجب ألّا تدخلي غرفة بدون أن تقرعي بابها.

– إنّ بيت يقول أنّه يجب أن تدفعي له ثمن قبعته، فقد تلفت بعد أن وطأتها بقدميك.

– ماذا تقولين؟

– لقد وطأتها قدماك، ويعتقد بيت وجيني أنهّ يجب عليكِ أن تدفعي ثمنها، أو أن تعرضي ذلك.. وأعتقد أنّكِ لو عرضتِ عليه ثمنها فلن يأخذه.

– هل تعتقدين أنّه يجب علي أن أفعل ذلك؟

– نعم، إنّهما يعتقدان ذلك، إنّني أذكر لكِ ذلك، لأنّني وعدتهما، وإذا كنتِ لا تحبذين هذا العمل فلا تفعلي.

فقالت العمة بعد أن اِستردت أنفاسها تمامًا.

– لقد اِستضفت واِطعمت هؤلاء الناس أسبوعًا، وأعتقد أنّني غير مطالبة بتوفير الملابس لهم.

***

قال فيرتشايلد:

– إنّ الجرأة هي الوسيلة الوحيدة لاِجتذاب الجنس اللطيف، أليس

كذلك يا كابتن؟

فقال الكابتن:

– بلى، إنّها الجرأة، عاملهنّ بشدة وعنف.

– هذا كلام صحيح، إنّك إذا سَنَحَت لك فرصة الحب ولم تغتنم الفرصة، فإن فتاتك، ستتحول عنك لأول رجل يُقابلها بدون تردد.

الساعة الثانية عشر

لم يبقَ أحد فوق سطح اليخت، وراح فيرتشايلد والكابتن ايرس ينظران حولهما بدهشة، ثمّ قرّرا وضع أسطوانة في جهاز البيك آب، لكي يصحوا الجميع.وقام الرجل السامي بإدارة جهاز البيك آب وجال فيرتشايلد مع الكابتن فوق سطح اليخت.

وسارت السيدة موريز مع القبطان نحو غرفة المستر فيرتشايلد، وقالت له:

– اِفتح هذه النافذة.

ودخل ضوء القمر الغرفة، فامتلأت بخيوط فضية أشبه بالرخام.

***

وقف مستر فيرتشايلد على سطح اليخت، وراح الهواء يداعب شعره، ويلفح وجهه، وسطح القمر والنجوم.وكانت النجوم لا تبالي باليأس الذي

اِرتسمت أماراته على وجه المستر تاليافيرو، أو تهتم باليأس الذي يأكل فؤاده.فقد شاهدت الكواكب الكثير من التردد والدهشة الإنسانية، ولذلك فهي لا تهتم بأن يتزوج مستر تاليافيرو مرة أخرى أو يقع في غرام جديد.

ثمّ اِرتفع صوت اليخت، فدبت الحركة في اليخت.

***

وقف فيرتشايلد يقول:

– ما هذا؟

فقال الكابتن ايرس.

– عمّ تسأل؟

ووقف الاِثنان ينظران، فقال فيرتشايلد:

– لقد سمعت شيئًا "ينط" في الماء، ثمّ تطلّع إلى الماء، وتبعه الكابتن ايرس ولكن الماء كان ساكنًا لا يتحرك.وكان الليل هادئًا.

فقال الكابتن ايرسن:

– أعتقد أن أحدًا ألقى قاذورات في الماء.

ثمّ انِصرف الاِثنان.

وسمعا صوتًا آخر. وواصل اليخت سيره.

خاتمة

-١-

اِختلف شكل ثوب جيني الأخضر بعد غسله في مياه البحيرة، فقد أصبح قصيرًا من ناحية، وأصبح طويلًا من ناحية أخرى.ولكن جيني لم تكن ترى ذلك عندما وقفت في الشارع تنتظر حضور السيارة وراحت تنظر إلى قبعة بيت.

وجاءت السيارة وركبت وأعطت السائق العنوان والأجرة، في حين اِحتشد عدد من الرجال والشبان وراحوا ينظرون إليها بلهفة وشوق. وجلست جيني إلى جانب رجل بدين أمسك بصحيفة يطالعها، فنظر إليها، ثمّ عاد إلى صحيفته.

وسارت السيارة بسرعة فائقة، فأثارت فزع الناس في الشارع، وأخيرًا وصلت إلى محطة، فنزلت وسارت بين المنازل حتى وصلت إلى بوابة حديدية، فدخلت منها وسارت في ممر غرست على جانبيه الزهور، ثمّ عبرت إلى المنزل.

وكان والدها يجلس في الشرفة يتناول عشاءه، وما إن رآها حتى قال لها:

– أين كنتِ؟

فدخلت جيني المنزل، وخلعت قبعتها، وقالت:

– كنت في زورق.

فارتسم على سمات أبيها شيء من عدم الإِرتياح والغضب.

فقال أبوها:

– هل تعتقدين أنكِ تستطيعين الذهاب على هذه الصورة، دون أن تخطري أحدًا، ثمّ تعودين إلى المنزل؟

ولكنّها أمسكت به وقبلته، ولم تسمح له بالكلام.

-٢-

لم يكن "بيت" وهو طفل يدرك الأمور، ولكن اللافتة الكهربية التي تحمل اِسم الأسرة تبيّن أنّ هذه الأسرة اِرتفعت من لا شيء، ومن مطعم صغير يقدّم الطعام للعمال الإيطاليين إلى أسرة أمريكية كوّنت هي نفسها ثروتها.

وقد كنت في سنة ١٩١٩ تدخل غرفة صغيرة حيث يقدم إليك الطعام مع جمع من الإيطاليين، وربّما جاءت السيدة "جنيوتا" العجوز نفسها لتقدّم لك الحساء، وتجتذب معك أطراف الحديث. على حين كان المستر "جنيوتك" يقف إلى مائدة يحدّث أصدقاءه.

ولو تمهلت قليلًا لاِستطعت أن ترى "بيت" وهو يرتدي قميصًا نظيفًا، وقد اِنسدلت خصلات شعره على وجهه وعينيه الذهبيتين وعمره ١٣ عامًا مثل الأطفال الإيطاليين.ولكن الأمور قد تبدّلت الآن، فقد تحوّل

المطعم الحقير إلى "صالة" رقص كبيرة، وانتشرت الموائد هنا وهناك.وبدلًا من الطعام الرخيص أصبح الطعام راقيًا جيدًا، وأصبح الخدم ينتشرون في المكان.

وكانت هذه هي فكرة "جو" الذي يبلغ من العمر ٣٥ عامًا وهو أمريكي الجنسية، وكان مستر جينيوتا يخشى هذا التحول بسبب كبر سنه، ولأنّه لم يَعُد في إمكانه أن يلتقي برفاقه القدامى وسط الضحكات ورائحة الطعام، فهو لا يعرف الخدم الآن وقد وضعت آلات الموسيقى والطبول هنا وهناك.

وكانت الضحكات النسائية ترتفع من جنبات المكان كما كانت رائحة الأكل والشراب تملأ الجو.

ورحل الأب إلى العالم الآخر بعد أن أصبح ثريًا، وبرز اِسمه وفاق أقرانه من الإيطاليين. وأمّا زوجته فقد أُصيبت بفقدان حاسة السمع لديها، وقد مرضت بعد أن اِبتعد الأصدقاء عنها.

وأصبح أولادها أمريكيين واِمتنعت عن الاِتصال بأحد.وراحت تعد الطعام لأبنائها الذين كانوا نادرًا ما يحضرون لتناول هذا الطعام. وأصبح لدى "جو" عدّة سيارات، وقد حاول إقناع أمه ركوب السيارة دون جدوى، وقد راح يرضي أمه بشتى الوسائل.

ولكن جو كان يقف في المطعم ويشرف على تنظيمه وهو يشعر بالفخر والكبرياء. وأمسك جو بأوراق النقد بيده، وراح ينظر إلى بيت وهو يجتاز الغرفة، وقال له جو:

– أين كنت؟

فقال بيت:

– في الريف، هل هناك شيء في الأكل؟

فقال جو:

– تريد أن تأكل! يا للجحيم! إنّني مضطر لأن أدفع أجر يومين لرجل عمل مكانك.. وأنت الآن تريد أن تأكل!

ولكن بيت لم يبالِ بما قاله أخوه جو.

وقال جو:

– هل تعتقد أنّك تستطيع أن تغادر هذا المكان، وتبقى مدة طويلة بعيدًا كما تريد؟ هل تفكر أنّك تستطيع أن تعود بعد أسبوع؟

هل هذا المكان لك؟

وكانت السيدة العجوز تقف في المطبخ ولم تتفوه بِبنت شفة! ولكنّها كانت تُعبّر عن خوفها وعدم اِرتياحها، وكانت تنظر إلى ولديها دون أن تحاول الكلام.ودخل بيت الغرفة فوقف شقيقه بالباب، ثمّ أحضرت أمه شيئًا من الطعام، ولكن أخاه وقف يحدق في وجهه.

وقال جو:

– اِنهض من هنا كما قلت لك. تعال إلى هنا، يمكنك أن تأكل عندما تعود.

ولكن الأم تدخلت بينهما، دون أن تسمع ما يقولانه، ثمّ قال بيت في النهاية:

– اِسمع.

ولكنّه لم يتمم حديثه، وراح يلتهم الطعام، وسمع صوت الباب يفتح، واِرتفع صوت سيدة راحت تحدث شقيقه، ثمّ قالت لبيت:

– أين كنت؟

فقال:

– مع بعض السيدات.

فقالت:

– مع أكثر من امرأة.

فقال:

– نعم، خمس أو ست سيدات، لقد اِستغرقت الرحلة طويلًا.

فقالت الفتاة:

– أوه!

ولكنّه لم يعرها اِهتمامًا، واِستمر في تناول الطعام، وقالت له:

– اِنظر إلى قبعتك، واِمسح فمك.

واِنتهى بيت من تناول الطعام، وكان صوت الفتاة يصل إلى مسامعه من الغرفة الأخرى، فأشعل لفافة وخرج، فقال له جو:

– هل أنت ذاهب؟

فقال:

– نعم.

فقال جو لأخيه:

– خذ السيارة ستديوبيكر.

فقال بيت:

– كلّا.. سأخذ عربتك الكريزلر.

فقال جو:

– عليك اللعنة إن فعلت! خذ السيارة الأخرى كما قلت لك، إذا كنت لا تريد ذلك فاشتر سيارة لنفسك.

-٣-

اِستلقى فيرتشايلد فترة من الوقت قبل أن يدرك أنّ الزورق يتحرك. وكانت الساعة الحادية عشرة ولم تكن هناك أصوات، ولكن ظهر أن في الأفق شيئًا ما لا يدري ما هو.وحاول أن يعرف هذا الشيء، غير أنّ المحاولة زادت من شعوره بالتعب، فأقلع عن المحاولات، واِستلقى من جديد.

وكان الرجل السامي يجلس إلى جانبه.وأرسل فيرتشايلد زفرة طويلة يعد

ذلك، ثمّ نهض وسار عبر الكابينة وجرع جرعة ماء، وشاهد اليابسة من بُعد والأشجار.

وقال لنفسه:

– لابُد أنّها مانديفل.

وحاول أن يوقظ الرجل السامي، ولكنّه مال بوجهه نحو الجدار، وراح يبحث عن زجاجة، ولكنّه عثرَ على زجاجة فارغة، فطلب قدحًا من القهوة، ثمّ توجّه إلى دورة المياه، ووضع رأسه تحت صنبور الماء، ثمّ عاد وارتدى ملابسه.

وسمع صوت تنفس مسموع في غرفة الكابتن ايرس، فأغلق فيرتشايلد باب الغرفة وذهب، وكان الصالون خاليًا، فشعر فيرتشايلد بشيء من الضيق، ولم يكن هناك أحد سوى الكابتن ايرس والرجل السامي، وكانا نائمين، فصعد إلى سطح اليخت وراح فيرتشايلد ينظر إلى الضوء، فشاهد ثلاثة رجال يجلسون على حافة الزورق فبادرهم بالتحية:

– طاب صباحكم. ما اِسم هذه المدينة؟ مانديفل؟

فقال الثلاثة:

– مانديفل! مانديفل! ماذا؟!

فقال لهم:

– ما اِسم هذه المدينة إذن؟

فجلس الرجال الثلاثة وراحوا ينظرون إليه، ثمّ قال أحدهم:

– يبدو كما لو أنّ رفاقك قد تركوك وذهبوا.

فقال فيرتشايلد:

– يبدو أنّ هذا قد حدث، هل قالوا أنّهم سيرسلون عربة لنا؟.

فقال الرجل:

– لا.. لن يرسلوا سيارة اليوم.

ففرك فيرتشايلد عينيه، وأدرك أنّ محدّثه هو القبطان الذي ما لبث أن قال:

– إنّ الترولّلي هناك.

-٤-

وكان الموعد مع الكابتن ايرس في الساعة الثالثة، فهبط من المصعد في ذلك الوقت، وسار في ممر طويل وسمع صوت آلة كاتبة.ثمّ وصل إلى الباب الذي يريده، ودخل واعطى فتاة بطاقته وراح يتفرس في وجهها، ثمّ جلس في الإِستراحة ينظر عبر النافذة إلى النهر.

وعادت الفتاة، وقالت:

– إنّ مستر ريتشمان سيقابلك حالًا.

وفتحت للكابتن ايرس الباب.وصافحه مستر ريتشمان وقدّم له مقعدًا وسيجارًا، وراح يسأله عن اِنطباعاته في نيو أورليانز قتلًا للوقت بالحديث.

-٥-

جلس فيرتشايلد، وأمسك بيده سيجارًا ووقف في الشرفة، وراح ينظر إلى الظلام، والكاتدرائية المجاورة.وكان التروللي يجتاز شارع رويال، وكان هذا قلّما يحدث، وعندما اِختفى التروللي لم يسمع صوت الآلة الكاتبة. ثمّ رأى مستر تاليافيرو عند منعطف الممر وقد اِرتسمت على وجهه أمارات الخوف، فدخل الغرفة مسرعًا وتظاهر بالنوم. وسار تاليافيرو يلوح بعصاه وأخذ فيرتشايلد يفكر ويحدّث نفسه قائلًا:

– إنّها الفرصة، هي أهم من كلّ شيء! وأنّ عدم المبالاة من الوسائل الهامة في اِجتذاب قلوب الجنس اللطيف.

وصعد تاليافيرو سلمًا مظلمًا وسمعه فيرتشايلد يتعثر في الظلام، ثمّ جاء تاليافيرو وهتف باِسمه..

فقال فيرتشايلد بارتياح:

– لقد كنت على وشك الاِنصراف لأنّي ضللت الطريق، غير أنّ رجلًا سمح لي بأن أعبر المكان إلى هنا.

– هل كنت نائمًا؟ آسف لإزعاجك؟ ولكنّي أريد نصيحتك لأنّني لم أركَ مُنذُ صباح اليوم.

ووضع تاليافيرو قبعته وعصاه على المنضدة، وراح يحدق في وجه صاحبه وقد اِرتسمت على وجهه أمارات الذعر.

فقال فيرتشايلد:

– ماذا بك؟

فقال تاليافيرو:

– أنا... لا شيء!لا شيء أبدًا، يا عزيز، لماذا تسأل؟

فقال فيرتشايلد:

– يبدو أنّك تريد أن تقول شيئًا.

وضحك تاليافيرو ضحكة مصطنعة، وقال:

– إنّك تتخيل أشياء، وإنّي أطلب منك النصيحة، أتذكُر حديثنا على اليخت؟

وراح فيرتشايلد يحدّق في وجه صاحبه، ثمّ قال:

– حسنًا!. إنّني لا أذكر شيئًا من حديثنا.

فقال تاليافيرو متفائلًا:

– آه.. إنّني أعتقد أنّني كشفت سر النجاح مع الجنس اللطيف، مهد السبيل قبل الاِلتقاء بهنّ، أظهر عدم المبالاة بهنّ، كن جريئًا، سأستخدم هذه الحيلة الليلة، ولكنّي أريد نصيحتك.

فمال فيرتشايلد إلى الوراء قليلًا، وقال تاليافيرو:

– سأجعل صديقتي تشعر بالغيرة بأن أتحدث عن اِمرأة أخرى بعبارات رقيقة، إنّها من غير شك تريد أن ترقص، ولكني سأتظاهر بعدم المبالاة.

فقال فيرتشايلد:

– حسنًا.

فقال تاليافيرو:

– سنذهب ونرقص وأوهمها بأنّي أفكر في اِمرأة أخرى. ومن الطبيعي أنها ستسألني في ماذا أفكر؟ فسأقول: لماذا تريدين أن تعرفي؟ ولكنّها سترجوني من جديد، وأقول لها سأخبرك بما تفكرين فيه، فترد علي ماذا؟! فأقول لها: إنّكِ تهتمين بي، فما رأيك في هذا كلّه، وماذا ستقول لي؟

فقال فيرتشايلد:

– ربما تقول لك أنّ رأسك مضطرب.

فتدلّى وجه تاليافيرو، وقال:

– هل تعتقد أنّها ستقول ذلك؟

فقال:

– سترى هذا أنت نفسك!

فقال تاليافيرو:

– كلّا. لا أعتقد ذلك، إنّني أتخيل أنّها ستعتقد أنّني أعرف نساء كثيرات.. هل تعتقد أنّ الخطة ستنجح؟

فقال فيرتشايلد:

– بالتأكيد، على شرط أن توفق في تنفيذ الخطة، وأن تستجيب هي وإلّا تصفعك.

فقال تاليافيرو:

– إنك تجتذبني، ألا تعتقد أن الخطة ستنجح، أنها الوسيلة الوحيدة لكسب المعارك، وقد علمنا نابليون ذلك.

فقال فيرتشايلد:

– إنّ نابليون قال الكثير عن المدفعية الثقيلة، أرى أنّك فكرت في كلّ شيء.

فابتسم تاليافيرو بارتياح وقال:

– هذا صحيح.

فقال فيرتشايلد:

– هل ستحاول اِستخدام هذه الخطة الليلة أم أنّك تضعها فقط؟

فأخرج تاليافيرو ساعته ونظر إليها وهتف قائلًا:

– يا للسماء! يجب أن أذهب.

ثمّ نهض مسرعًا، وقال:

– شكرًا لنصيحتك وأعتقد أنّني توصلت إلى الحل، أليس كذلك؟

فقال فيرتشايلد:

– هذا صحيح.

وتصافح الإِثنان، وقال له تاليافيرو:

– تمن لي حظًا سعيدًا، أنّك لن تذكر حديثنا لأحد.

فقال فيرتشايلد:

– بالتأكيد، بالتأكيد.

وأغلق تاليافيرو الباب ونزل، ولكنّه تعثّر مرة أخرى، ثمّ وصل إلى الشارع، ونهض فيرتشايلد ووقف على الشرفة وراح يراقبه. ثمّ اِستلقى مرة أخرى ونهض. فقال له الرجل السامي:

– إلى أين أنت ذاهب؟

فقال فيرتشايلد:

– لست أدرِ!. إلى مكان ما.

-٦-

تثاءبت باتريشيا عدة مرات وأدركت أنّ شقيقها على وشك مغادرة المائدة، فنهضت أيضًا، وقالت للمستر مارك:

– حسنًا لقد سررت لأنّني تعرفت بك!. ربما نعود إلى هنا في الصيف القادم، وسنقوم برحلة مرة أخرى أليس كذلك؟.

فقالت العمة:

– اِجلسي يا تريشيا.

فقالت باتريشيا:

– إنّي آسفة يا عمتي، ولكن جوشن يريد أن أرافقه الليلة فهو ذاهب غدًا.

فقال مارك:

– ألستِ ذاهبة غدًا أيضًا؟

فقالت باتريشيا:

– نعم.. فهذه هي آخر ليلة نقضيها هنا. وجوشن يريد أن...

فقال جوشن:

– لست أنا.. يمكنك ألّا تذهبي معي؟

فقالت باتريشيا:

– حسنًا! أعتقد أنّه من الأفضل ذلك، على أيّة حال..

فقالت العمة:

– باتريشيا!

ولكن الفتاة تجاهلت كلام عتمها ونهضت وصافحت المستر مارك بشدة قبل أن ينهض واقفًا وقالت:

– إلى اللقاء! حتى الصيف القادم!

وقالت العمة:

– باتريشيا.

وقالت الفتاة:

– طاب مساءك يا عمتي!

وذهب جوشن إلى السلم، فأسرعت خلفه، وتركت عمتها تناديها، من غرفة الطعام، ووصلت إلى السلم في الوقت المناسب لتجد باب غرفته يغلق خلفه.وعندما حاولت أن تفتح الباب، وجدته موصدًا، فعادت إلى غرفتها. وخلعت ملابسها في الظلام، واِستلقت على فراشها، وسمعت صوته بعد لحظات وهو في غرفة الحمام.

وعندما اِنقطعت تلك الأصوات، نهضت باتريشيا ودخلت الحمام بهدوء، وأضاءت المصباح، وفتحت صنبور الماء، فامتلأ الحوض، ثمّ أخذت في الاِستحمام ، وبعد أن فرغت من الاِستحمام عادت إلى غرفتها واِرتدت ملابس النوم، ثمّ ذهبت حافية القدمين ووقفت عند باب غرفة شقيقها لتسمع إلى ما يجري في داخلها.

وقالت بعد أن عرفت أنّ الباب غير موصد:

– اِسمع يا جوشن.

وفتحت الباب، وقالت:

– إنّني قادمة. فلن تسمح لي بذلك.

وكانت الغرفة تسبح في ظلام دامس، فلم تميز شكل أخيها على الفراش، ثمّ جلست قربه، فقال لها:

– ماذا تريدين. ولماذا حضرتِ إلى هنا؟! اِخرجي من هنا!. أُريد أن أنام.

فقالت:

– دعني أمكث قليلًا، فلن أزعجك..

فقال:

– أُريد النوم.. اِخرجي الآن.

فقالت متوسلة:

– لحظة بسيطة. سأجلس ساكنة.

فقال:

–إنّك لن تجلسي صامتة.. اِخرجي الآن..

فقالت:

– أقسم أنّني سأظلّ صامتة..

فقال:

– حسنًا..

فقالت:

– إنّني مسرورة لأن أسافر معك، إنّني أحب السفر في القطار وسنرى الجبال، يا لها من جميلة!.

فقال أخوها:

– لا توجد جبال بين هنا وشيكاغو، اِصمتي.

فقالت:

– توجد جبال، لقد شاهدتها.

فقال:

– لقد كان ذلك في فرجينيا وتنيسي، إنّنا لن نذهب من فرجينيا إلى شيكاغو.

فقالت:

– لقد ذهبنا من تنيسي.

فقال:

– اِصمتي، اِذهبي من هنا إلى غرفتك.

فقالت:

– لا.. أرجوك.. سأصمت، لا تكن منزعجًا.

فقال وقد ضاق صدره:

– اِخرجي الآن.

فقالت:

– لن أتكلم..

فقال:

– اِخرجي حالًا.

فقالت:

– لحظة أخرى وسأذهب أرجوك.

فقال:

– حسنًا! اِسرعي إذن.

ومالت فوق رأسه وعضت أُذنه، فقال:

– اِذهبي الآن.

ونهضت باتريشيا وعادت إلى غرفتها التي بدت لها خانقة، فخلعت ملابسها، وعادت إلى الفراش.وراحت تحدق في الظلام، وتحدّث نفسها عن رحلة الغد، وكيف سترى الجبال والمدن.

-٧-

قال الرجل السامي:

– إنّها من أهل الشمال، وقد تزوجت ولابُد أن زوجها كان متقدمًا في

السن عندما تزوجها.

فقال فيرتشايلد:

- ماذا تعني بهذا القول؟

فقال الرجل السامي:

- إنّ أسرتها أرغمتها على الزواج من موريز العجوز، وقد اِختفى عام ١٨٦٣، وعندما اِنتهت الحرب عاد على جواد وسرج تابع لفرسان الجيش الاتحادي ومعه مائة ألف دولار. ولا أحد يدري من أين حصل على هذا المبلغ. ولكنّه اِستطاع أن يقف على قدميه من جديد. ولم يقم موريز بإظهار نفسه للآخرين الذين اِعتقدوا أنّه جبان من الناحية الأدبية، وأنه كان يخفي النقود في مكان.

ثمّ اِنتشرت شائعة حول عقد عدة صفقات لبيع الأراضي وحصل على ثروة واِسم خلال تلك السنوات التي أعقبت تولي الجنرال بتلر القيادة المحلية. وعندما اِنجلت السحب تضاعفت ثروته بحيث لم تؤثر عليها الشائعات أبدًا وبعد عشر سنوات أصبح من أصحاب الأراضي وكان شخصًا ذكيًا.

وتقول الرواية:

إنّ أباها حضر إلى نيو أورليانز في رحلة للعمل مع توصية من واشنطن. كانت هي صغيرة الجسم حينئذ، واِعتقدت أنّ أباها حضر إلى الجنوب في مهمة من الحكومة. ويبدو أنّ الأسرة وجدت الجو ملائمًا في

الجنوب، وقد أحبت الفتاة شابًا مفلسًا.ولم يكن الأشراف قد قبلوا موريز العجوز بينهم، بالرغم من أنّه حاول ذلك، ولكن لا يمكن أن يتجاهل المرء النقود.. وهذا ما حدث بالنسبة لهؤلاء الناس.

وكانت السيدة موريز تقوم بالإشراف على أعمالها وحفلاتها، وكانت جميلة كما يقولون، ورسم الفنانون عدّة صور لها وضعوها في المعارض وأقبل جوردن وتدخل في الحديث قائلًا:

– لابُد أنّ الأمر كان شاقًا بالنسبة إليها.. ولكن النساء يجابهن كلّ شيء!

فقال فيرتشايلد:

– ويتمتعن به! ولكن كيف عرفت كلّ هذا؟

فقال السامي:

– لقد كان يوليوس كوفمان جدي!

فقال فيرتشايلد:

– إنّه لجميل منك أن تخبرني بذلك، وكنت لا أطمع في أن أعرفه.

فقال السامي:

– كلّا! ستعرفه في يوم من الأيام.

ووقف فيرتشايلد أمام التمثال الذي صنعه جوردن، وقال:

– إنّه رائع، لابّد أنّك تتمنى له أن يتكلم! لعلّك تتمنى أن تراه في

صبيحة أحد أيام شهر يوليو وهو يستحم في حوض مياه حيث الأشجار.. ربّما كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تنسى أحزانك..

فقال جوردن:

– إنّها لفتاة ليست شقراء، إنّها سوداء جميلة أكثر من النار الملتهبة..

ثمّ كفّ عن الكلام وأمسك بزجاجة الشراب وألقى بها في الموقد.

فقال فيرتشايلد:

– لا تفعل هكذا!

فقال جوردن:

– اِنس الأحزان، إنّ المعتوه هو الذي لا يشعر بالألم.

-٨-

وقف مارك فروست عند الناصية ثائرًا، وكان ضوء الشارع يضيء المكان، فيجعل له خيالًا غير متكامل. ووقف حائرًا إذ أنّه في ذلك المساء لم يستطع أن يذهب إلى حفلة ففكر أن يعود إلى المنزل، ولكن الوقت كان مبكرًا.

وكان مارك يعتمد على الناس الآخرين لتمضية وقته.فقد تضايق من السيدة موريير وانتابه الذهول.

وإذا كان المرء يمت بصلة إلى الفن فعليه أن يتناول معها طعام العشاء

ولكن هذه الليلة قابلته السيدة موريرِ بفتور شديد، فلم تطلب منه البقاء أو الذهاب.

ربّما كانت تعبة بعد الرحلة!

ونسى كلّ شيء عن باتريشيا. وجاءت الحافلة فركبها وذهب إلى أقرب حانوت ليستخدم التليفون، واِتصل بالآنسة جيمسون فطلبت منه الحضور.وعندما وصل إلى منزلها قالت له:

– لقد ذهب الجميع لقضاء نهاية الأسبوع.

فقال مارك:

– حسنًا! لست مستعدًا لكي أتبادل أطراف الحديث مع والدتك الليلة!

فقالت الآنسة جيمسون:

– وأنا كذلك!

فقال:

– الآن أشعر بالاِرتياح.

فقالت له:

– اِخدم نفسك، فلا يوجد أحد هنا!

فقال مارك:

– هذا رائع! البيت كلّه من أجلك! كم أنا سعيد لأنّني غادرت

اليخت، إنّني لن أذهب مرة أخرى.

فقالت جيمسون:

– لا تتحدث عن ذلك الزورق. أعتقد أنّ أحدًا منّا لن يذهب مرة أخرى، لقد تحدثت السيدة موريز صباح ذلك اليوم بطريقة لست أدري كيف أصفها.

فقال مارك:

– هل أرسلت سيارة فيرتشايلد ويوليوس الرجل السامي؟

فقالت:

– لا.. لقد كان من الممكن أن يغرقا وما كان باستطاعتها أن تخطر البوليس.

واستأذنت الآنسة جيمسون من مستر مارك في الغياب لحظة لقضاء بعض شأنه،ا وجلس مارك فروست على المقعد وراح يدخن لفافة تلو الأخرى دون أن يتحرك حتى أتى على علبة اللفائف كلّها، ثمّ نهض.

ولاحظ مارك أنّ غياب جيمسون قد طال.

وعاد إلى مكانه مرة أخرى، ووقف وراح يدور في الغرفة بحثًا عن لفائف، ولكنّه لم يجد شيئًا.

وأخذ ينظر عبر النافذة، وسمع الساعة تدق الثانية عشرة، فهرع عبر الباب إلى الشارع كيما يلحق بأخر "ترولّلي".

ولكنّه وجد سيارة الاتوبيس، وطلب منه سائق السيارة.. الصعود فركبها.

-٩-

سار جوردن وفيرتشايلد والرجل السامي في شوارع المدينة المظلمة وفوقهم السماء والليل والنجوم.

وكان الفصل ربيعًا وأشبه بغابة جميلة.وسار في الشارع نفسه ثلاثة رهبان.وعند أحد الأبواب وقفت جماعة من النساء، تفوح منهنّ رائحة عطرة.ولكن جوردن لم يعرهن اهتمامًا. وتباطأ فيرتشايلد في السير وكذلك السامي.فضحكت اِمرأة ونادته.ولكن السامي جذبه إلى الأمام.

وقال فيرتشايلد:

– لا تقف وواصل السير.

وظهر في الشارع ثلاثة رهبان آخرون وأسرعوا وراء الثلاثة السابقين، كما ظهر متسول عند بوابة حجرية. واِرتفع من بعيد صوت فتاة غامض، يدل على الحزن والشقاء، ثمّ عرج الثلاثة على شارع أكثر ظلامًا. وراح المتسول يغط في نومه على حين شاهد الجميع تمثالًا ذا رأس منحوت من خشب الأبنوس. وقد اِلتفت حوله بعض النسوة يرتدين جلود حيوانات وهنّ مقيدات بأصفاد ويتألمنّ معًا. وكان الليل حلوا وفي طياته كثير من الأسرار ويخفي كثيرًا من الناس.

وكانت المرأة التي لا رأس لها تعبّر عن ألم شديد، وعندما اِختلطت الأصوات بالظلال اِرتفع صوت النساء المقيدات معبرًا عن الألم والشقاء.وواصل الثلاثة سيرهم.

وتعثّر فيرتشايلد فجأة، وأوشك أن يسقط فساعده السامي على الوقوف إلى الجدار، وراح يحدق في الظلام.وقال:

– إنّ العناصر المختلفة التي تؤلف هذا العالم هي الحب، والحياة، والموت، والجنس، والألم.

وبدا صوت القمر الخافت من بعيد.

ووقف الرهبان الثلاثة صامتين على حين راحت الجرذان تتحسس جسد المتسول.

-١٠-

قال عامل الآلة الكاتبة وهو يظن أنّ أحدًا يريد أن يوقظه من حلم لذيذ:

– أوه فيرتشايلد.

ثمّ سمع طرقة قوية على الجدار، فقال:

– اللعنة. اِدخل! من أين جئت؟ ألم تمرّ من هنا مُنذُ عشر دقائق يا عزيزي.

– ماذا بك؟ هل أنت مريض؟

ووقف تاليافيرو بالباب، ثمّ دخل وجلس فوق أحد المقاعد، وقال:

– أسوأ من ذلك.

فقال فيرتشايلد:

– هل أنت بحاجة إلى طبيب أو إلى أي شيء آخر؟

فقال تاليافيرو:

– لا.. إنّ الطبيب لا يستطيع مساعدتي.

فقال فيرتشايلد:

– إذن ماذا تريد؟ إنني مشغول!

فقال تاليافيرو:

– أعتقد أنّني بحاجة إلى الراحة عندك، إذا كان هذا لا يزعجك، لقد حدث لي شيء مخيف الليلة.

وذهب فيرتشايلد وأحضر لتاليافيرو بعض الشراب.

فقال تاليافيرو:

– لقد حدث لي شيء مخيف، لقد كانت فرصتي الأخيرة.

ثمّ اِنفجر باكيًا، وقال:

– إنّ الأمر يختلف..

فقال فيرتشايلد:

– تكلم.. ماذا حدث؟!

فقال تاليافيرو:

– دبرت الخطة، وتظاهرت بعدم المبالاة، وقلت، إنني لا أبالي بالرقص الليلة فقالت تعال، هل تعتقد أنني خرجت معك لأجلس في حديقة.. وعندما حاولت أن أضع يدي حولها..

فقال فيرتشايلد:

– حول من؟

فأجاب تاليافيرو:

– حولها! ثمّ حاولت أن أقبلها.

فقال فيرتشايلد:

– أين حدث ذلك؟

فقال تاليافيرو:

– في العربة، فلم تكن لدي عربة خاصة، وقد أبعدتني عنها، ثمّ قمت لأرقص معها، وكانت تميل برأسها هنا وهناك ونحن نرقص فقلت لها:

– في ماذا تفكرين؟

فقالت:

– مَن؟. أنا! في ماذا أفكر؟!

ثمّ شاهدتها تبتسم وتنظر خلفي.

فقلت لها:

– إنّك تفكرين في.

– أنا أفعل ذلك.

فقال فيرتشايلد:

– يا السماء!

فقال تاليافيرو:

– وقلت لها لقد سئمت المكان فترددت، ولكنّها وافقت وطلبت مني أن أذهب واستدعي عربة. واستدعيت عربة، وأعطيت السائق عشرة دولارات، وانتظرتها لكي تحضر لتركب معي العربة وعدت إلى المكان فلم أجدها وذهبت إلى "صالة" الرقص فلم أجدها في البداية، ولكنّي رأيتها تراقص أحد أصدقائها. ولم أدرِ ماذا أفعل؟ ولوحت لها بيدي فطلبت مني أن أنتظر حتى نهاية الرقصة، ولم تحاول أن تنظر نحوي مرة أخرى.واستبدّ بي الغضب وذهبت نحوها.

فقالت:

– آه! لقد اعتقدت أنّك ذهبت فطلبت من هذا الرجل أن يذهب بي

إلى المنزل متفضلًا مشكورًا..

فقال الرجل:

– سأفعل هذا..

فقلت:

– ومَن هو؟

فقالت:

– إنّه أحد معارفي.

ونظر إلي نظرة غضب.. إلّا أنّني تجاهلته، وقلت بحزم:

– هيا بنا يا أنسة! إنّ السيارة في الاِنتظار.

فقال الرجل الآخر:

– هل تريد أن تأخذ فتاتي؟

فقلت له:

– لقد حضرت معي.

فقالت لي:

– اِذهب، إنّك تعبت من الرقص، وأنا لم أتعب بعد، فسأبقى لأرقص مع هذا الرجل اللطيف. طاب مساءك.

وعادت تبتسم، وأيقنت أنّهما يسخران مني.. وقال ذلك الشخص:

– اِذهب يا عزيزي وعُدْ غدًا.

وأردت أن أنهال ضربًا عليه، ولكنّي تذكرت مركزي في المدينة وأصدقائي، فنظرت إليها واِنصرفت.

وعندما نزلت إلى أسفل وجدت العربة قد اِنصرفت.

فنظر فيرتشايلد إلى مستر تاليافيرو نظرة صارمة، وقال:

– اِذهب إلى الجحيم، لقد جعلتني أشعر بالسام.

فقال تاليافيرو يائسًا:

– ماذا سأفعل؟

فقال فيرتشايلد:

– اِذهب لحالك!

وقام الرجل بمرافقة تاليافيرو حتى الباب، حيث وقف وراح ينظر إلى الآلة الكاتبة. وراحت قطة كانت في المكان تنظر إليه شزرًا، ثمّ فرّت هاربة فسار في أثرها والشقاء والحسد يملأن قلبه.

وقال يحدث نفسه:

– إنّ الحب سهل بالنسبة إلى القطط.

وتنهّد وسار متكاسلًا آسفًا. واِنطلق يجوب الشوارع حيث الظلام.. وقال:

– إنّني أتساءل عمّا إذا كانت تسخر مني؟ ربما كان ذلك لأنّ السن

تقدمت بي، ولكنّي أعرف الكثيرين يحصلون على رغباتهم بسهولة، وهم يقولون ذلك وهو شيء لا أملكه، ولم يكن لدى ذات يوم.

وأخذ تاليافيرو يستعرض مسألة الزواج من جديد على أساس أنّها الحل الرئيسي لمشكلته. وأسرع إلى البيت حيث خلع ملابسه، وراح يقول:

– لابُد أن يكون هناك شيء.. لقد اِفتقدت شيئًا أقوله أو أقوم بعمله!

وراح يدهن نفسه بسائل له رائحة النعناع.وقال:

– هل يجب أن أصبح عجوزًا حتى أصل إلى هذا الشيء!

وذهب إلى الحمام وملأ حوضًا بمياه دافئة. ثمّ ذهب إلى المرآة، وراح يمعن في النظر في وجهه فوجد أنّ وجهه ينم عن عمره الذي بلغ ثمانية وثلاثين عامًا. فأخذ يتنهّد ويرسل الزفرات. ثمّ وضع قدميه في الماء فشعر براحة.

وراح يقول:

– لقد كانت خطتي مدبرّة، فأين كان الخطأ؟! لقد اِعترف فيرتشايلد بأنّها خطة محكمة، دعني أفكر، وحملق في صورة على الجدار لزوجته السابقة.. لماذا لم تُنفّذ الخطة مثلما قدرت، لقد كنت لطيفًا جدًا معها.. لقد كنت أقيم الحفلات.. ونصبت نفسي خادمًا أمينًا.. إنّ الطريقة هي معاملتهنّ بقسوة!. والتسلط عليهنّ مُنذُ البداية.. وألّا تسمح لهنّ بِاستخدام الألاعيب والخداع. إنّ الطريقة القديمة هي النادي. وهذا هو محك الشرر، وجفف تاليافيرو

قدميه، وقال:

– هذه هي الحيلة!

وقال وهو يحدث نفسه:

– فيرتشايلد.. إنّني أسفة لإزعاجك. ولكنّي توصلت أخيرًا إلى الطريقة.. لقد تعلمت ذلك بخطأ اِرتكبته الليلة. وهو أنّني لم أكن جريئًا. كنت أخشى أن تهرب معي.. اِسمع. سأحضرها إلى هنا، ولن أقبل أي رفض أو عذر. سأكون قاسيًا عنيفًا. ومتوحشًا إذا لزم الأمر حتى تتوسل وتطلب حبي. فما رأيك في ذلك؟

واِرتفع من بعيد صوت نسائي يقول:

– عاملهنّ بقسوة أيّها الولد الكبير...!

الفهرس

وليم فولكنر ٥
الفصل الأول ٧
الفصل الثاني ١١
الفصل الثالث ١٩
الفصل الرابع ٢٧
الفصل الخامس ٢٩
الفصل السادس ٣١
الفصل السابع ٣٣
خاتمة ١٣٥